

الفصل الثالث

أثر المحبة في مجالات الدعوة

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة و العبادات

المطلب الأول : أثر المحبة العقيدة

المطلب الثاني: أثر المحبة العبادات

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق و المعاملات

المطلب الأول : أثر المحبة الأخلاق

المطلب الثاني: أثر المحبة المعاملات

الفصل الثالث

أثر المحبة في مجالات الدعوة

تمهيد

إن الدعوة إلى الله تشمل جميع نواحي الحياة، لكمال الإسلام وشموله؛ لذا فقد ارتبطت الدعوة بحياة الإنسان وما تعلق به بعد مماته؛ ولاقتزان الحياة الدنيا بحياة الآخرة، اقتران ترتيب وتكليف ومحاسبة، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنْذِرُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ^(١) ومن أعظم الروابط بين الإنسان وبين الحياتين رابطة المحبة لهما أو لأحدهما، ومقياس التفضيل فيها يعود إلى ما قدم كل شخص من عمل يضمن له الفوز برضوان الله، أو يكون به من الخاسرين، فإن الأعمال محور الحساب، وتشمل مضمون العبودية لله تعالى التي يدخل بها إلى دار النعيم ونعم الدار، أو دار الجحيم وبنس القرار، وهذه الأعمال متصلة ضمنا بشخصية الإنسان وعلاقته بالدنيا والآخرة، ومنفصلة معنى وأداء باختلاف الأشخاص وتنوع الأوامر والنواهي الشرعية، عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملة ومدى قيام الإنسان بها على الوجه المطلوب منه شرعا، ويفترق الناس في ذلك، قال الله تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ^(٢) وقال الله عز وجل: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ^(٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ^(٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) ^(٥) فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ونفى محبته لمن هذه صفته، بل وجبت العقوبة عليه، ووجبت المحبة لمن آمن وعمل صالحا قال البيضاوي في تفسيره: (والاعتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ فَإِنْ فِيهِ إِثْبَاتُ الْبُغْضِ لَهُمْ وَالْمُحَبَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ) ^(٦) فإن محبة الله للمؤمنين ومحبة المؤمنين للأعمال الصالحة ومحبة المسلمين بعضهم لبعض، ومحبة غير المسلمين للمسلمين ومحبة المسلمين لغيرهم؛ تتعلق كل هذه الروابط بمقتضى العمل بالشريعة وأثرها في حياة المسلم، والدعاة إلى الله ينظرون إلى الكل والجزء في كل عمل يقوم

(١) سورة يونس: ٢٣.

(٢) سورة الأعلى: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الروم: ٤٣ - ٤٥.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨ هـ، ج ٤، ص: ٢٠٩.

به المسلم المكلف، فالنظرة الكلية تعبر عن مدى تلازم العمل مع مقاصد الشريعة وتحقيق المصالح العامة للأمة، والنظرة الجزئية محصورة في الحكم الشرعي للعمل في موقف مخصوص غير متعدد لغيره، ومثال ذلك، عندما يتحلى الرجل المسلم بسلسلة الذهب في عنقه وقد رسم عليها الصليب. فإن هذا الموقف مشتملا على عدة أحكام في مجالات الشريعة وهي:

- ١) العقيدة: ماذا يعتقد هذا المسلم في مسألة صلب المسيح عيسى بن مريم ؟ وهل الصليب الذي في السلسلة يمثل عقيدة له أم تقليدا ؟ وهل يوجب ذلك محبته أو بغضه ومفارقته ؟
- ٢) العبادات: عندما يقوم هذا المسلم بركن الصلاة، هل تقبل صلاته ؟ وهل تجوز إمامته ؟ وهل تكره الصلاة معه أم تستحب ؟
- ٣) الأخلاق: هل من خلق المسلم أن يتحلى بالذهب ؟ وما حكم لبسه في حق الرجال ؟ وهل تستحب مرافقته ومصادقته ؟
- ٤) المعاملة: من أظهر هذا الفعل بين المسلمين وجهر به ؟ هل تجوز مؤاكلته و مشاربته، أو البيع والشراء معه أو تزويجه ؟ وهل يستحب التعامل معه أم هجره ؟

ومن أجوبة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على مثل هذا الخصوص، هذا السؤال وجوابه:

(السؤال: اختلفنا في المسلم الذي يلبس الصليب شعار النصارى، فبعضنا حكم بكفره بدون مناقشة، والبعض الآخر قال: لا نحكم بكفره حتى نناقشه، ونبين له تحريم ذلك، وأنه شعار النصارى، فإن أصر على حمله حكمنا بكفره.
الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب، فإذا بين له حكم لبس الصليب، وأنه شعار النصارى ودليل على أن لا يلبسه راض بانتسابه إليهم، والرضا بما هم عليه، وأصر على ذلك حكم بكفره، لقوله عز وجل: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١). والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر. وفيه أيضاً إظهار لموافقة النصارى على ما زعموه من قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، والله سبحانه قد نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم، حيث قال عز وجل: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (٢). وبالله التوفيق. وصل الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.) (٣)، لقد تعلق هذا الجواب هنا بالعقيدة فقط، وعلى العقيدة تقوم أحكام أخرى تتعلق بها،

(١) سورة المائدة: ٥١.

(٢) سورة النساء: ١٥٧.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق السديش، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١١هـ، رقم الفتوى: ٢٢٤٥، ج ٢، ص: ٧٨.

كالعبادات والأخلاق والمعاملات والزواج والإرث وغيرها، وهذه التساؤلات قد فصل فيها أهل العلم في مجالات الشريعة في كتب الفقه بأدلتها، وتمثل المحبة رابطا وذات أثر في كل حكم من هذه الأحكام؛ مما يستوجب على الدعاة إلى الله أن يدركوا أثر المحبة في مجالات الدعوة، وهو ما سوف أعرضه هنا في هذا الفصل، من هذه الدراسة، وفق ما ورد من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب في مبحثين:

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة والعبادات

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق والمعاملات

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة والعبادات

المطلب الأول: أثر المحبة في العقيدة

الحبة أصل في عقيدة المسلم وعليها قام الإيمان، وعليها أسلم المسلم لله تعالى، إيماناً به ومحبة له ولمن جاء بخبره من الملائكة والرسول، ومحبة لما جاء عنه من أمرٍ أمرَ به، وكرها لما ييغضه، وتركاً لما يحرمه، وعلى ذلك أحب المسلم أخاه المسلم ورضي من الدنيا بالحلل دون الحرام محبة في لقاء الله وجنته ورضوانه. ومن أصول أهل السنة والجماعة أن المحبة صفة من صفات الله وصفة من صفات عباده (فإن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ) فإن الله يحب محبة تليق بجلاله وعظيم سلطانه، والعبد يحب محبة رغبة في جلب نفع به سعادة، ومحبة دفع ضر منه شقاوة، وتمذهب الناس في معنى محبة الله تعالى على مذاهب شتى بين مشرك وكافر، وبين مغال انحرف عن الصواب، وبين مرتاب خالف أهل الصواب، وبين من وقف على جرف هار، وبين من هو سالك طريق الجادة على نور من ربه، على برهان وبصيرة بالأدلة من الكتاب والسنة، والفهم السليم المتوافق مع مقاصد الشريعة والفطرة والعقل. وهذه المذاهب أعرضها باختصار وفق ما يلي:

المحبة عند أهل الإلحاد: المحبة عندهم تقوم على محبة الذات الإنسانية، في معزل عن الألوهية، ينظرون إلى الإنسان أنه عنصر من عناصر الطبيعة، وجد من غير موجد كسائر عناصر الطبيعة الموجدة، له مبتدأ تطوري ومنتهى أجلي، يكتفي بمعرفة الوسائل التي يستطيع بها البقاء على الحياة، وتطبيع حياته مع كافة الموجودات، وعندهم تقوم المحبة على خيال زائف، يفتقر إلى العقل والدليل، حيث يحب الإنسان نفسه، ويقوم بما يسعد ذاته ويبقي حياته، وينكر الإله وقول أحدهم وعقيدته: ألا إله والحياة مادة.

المحبة عند أهل الأوثان: نتجت المحبة عند أهل الأوثان من محبة الأشخاص والكائنات عبر التاريخ، فاختلفت المفاهيم عند الأجيال انتهت بالتقديس والعبادة لهذه الأوثان، فمثلاً بلاد الهند، تعد مركزاً من مراكز الحضارة القديمة في العالم وهي تضارع مصر والصين وآشور وبابل؛ ولكن موقعها الجغرافي وطبيعتها، جعلتها مغلقة على نفسها بالبحار والجبال، وواجه الإنسان الهندي قوى الطبيعة بالاعتقادات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) بالروحانيات والاعتقاد في الموجودات من المخلوقات من الحيوانات كالبقرة وغيرها، ونتج عن ذلك كثير من الأديان المنحرفة، كالهندوسية والبوذية^(١) والجنينية^(٢)، تؤمن بوحدة الوجود

(١) البوذية: هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتنتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونشد الترف والمناداة بالخبث والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألوهه. أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا ٥٦٠ - ٤٨٠ ق.م وبوذا تعني العالم ويلقب أيضاً بسكيا موئي ومعناه المعتكف. وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال، وكان أميراً فشب مترفاً في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفاً إلى الزهد والتقصّف والخشونة في المعيشة والتأمل في الكون ورياضة النفس وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون. انظر: الموسوعة الميسرة من الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/٧٥٨)

(٢) الجنينية: هي ديانة منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها مهافيرا وما تزال إلى يومنا هذا. إنما مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر. وهي تقوم على رياضات بدنية رهيبة وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتقيها. يعتقد الجنينيون أن ديانتهم ساهم في تأسيسها ٢٤ ترنكاراً أو جيئاً، حيث يظهر كل منهم في نصف دورة زمنية بدأت منذ الأزل. وسوف تستمر إلى ما لا نهاية. كان أول هؤلاء

والتناسخ والاتحاد الإلهي، وتعدد الآلهة، أورد أحمد شلبي عن نوعا من دياناتهم فقال: (وتسمى الهندوسية أو الهندوكية إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم ، وأطلق عليها البرهمنية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين ، ومن براهما اشتقت (البراهمة) لتكون علما على رجال الدين الذين يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة)^(١) وانتشرت الوثنية في أنحاء الأرض، ووصلت إلى مكة عن طريق عمرو بن لحي الخزاعي، وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وسب السوائب. وأهل الأوثان يحبون الأوثان من الأصنام والأحجار والأشجار والطواغيت، كحب الله الذي يقرون بربوبيته، ويشركون في ألوهيته، وقد يجوفهم كحب المؤمنين لله أو أشد منهم، وهذه هي المحبة الشركية. التي تعطى لكل ما عبد من دون الله، وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت وجبت، وكل عابد لها من أهل الأوثان يجب معبوده من الطواغيت والجبوت^(٢) محبة عقدية. والفرق بين محبة أهل الإيمان ومحبة أهل الأوثان، الإخلاص لله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في أهل الإيمان: (لَأَنَّهُمْ أَخْلَصُوا لَهُ الْحُبَّ، وَأَفْرَدُوهُ بِهِ، أَمَّا حُبُّ الْمُشْرِكِينَ لَالِهَتِهِمْ؛ فَهُوَ مُوزَّعٌ بَيْنَهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحُبَّ إِذَا كَانَ لِحِجَّةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ أَمْكَنَ وَأَقْوَى)^(٣)

المحبة عند اليهود: المحبة عندهم قامت على التميز العنصري، بأنهم أهل محبة الله دون الناس، يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن الله استخلصهم عن جميع الناس بالمحبة، وفضلهم على البشر. وقالوا عزير ابن الله، كما قالت النصرانية المسيح ابن الله. وكما تلاحقوا افتراء في نسب النبوة إلى الله، تلاحقوا بالافتراء في المحبة ، قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)^(٤) وأصل التوراة التي بين أيديهم اليوم محرفة بنص القرآن الكريم، وهو ما يقره التاريخ العلمي لدراسة التوراة سندا ومتنا، حيث هي مجموعة كتابات كتبت بعد موسى عليه السلام، قال الدكتور محمد شلبي شتيوي نقلا عن غيره^(٥): (ويجمع كل المؤمنين بالتوراة من أهل الكتاب على أن توراة موسى كانت خمسة أسفار: (١) التكوين (٢) الخروج (٣) اللاويين (٤) العدد (٥) التثنية. ويرى بعض الباحثين أن تسمية الأسفار الخمسة بهذه الأسماء تسمية لاحقة، فلم يكن كل سفر معروفا باسم خاص) ولقد صورت التوراة الحرفية العقائد الفاسدة

هو ريشاها أو أديناثا. ويعتبر وجود هؤلاء الجنيات من قبيل الأساطير التي لم تثبت تاريخيا. انظر: الموسوعة الميسرة من الأديان والمذاهب المعاصرة (٧٤١/٢)

(١) مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى)، أحمد شلبي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ٨، ١٩٨٦ م، ج ٤، ص: ٤٣.

(٢) الجبوت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. انظر: الصحاح للجوهري (٧٨/١).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس، ط ١، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣هـ، ص: ١٤٩.

(٤) سورة المائدة: ١٨.

(٥) التوراة المهيرو غليقية، فؤاد حسنين علي، القاهرة: دار الكتاب العربي، ص: ٣٩.

والأكاذيب على موسى وهارون والأنبياء عليهم السلام، وتعدت إلى رب العالمين الذي اعتقدوا أنهم الشعب الذي اختارهم وخصهم بالحب، وقال شتيوي: (وصورت التوراة رب العالمين بمن يعمل عملاً، فيراه مشيناً ومعيباً، فيندم على ما كان منه وما صدر عنه) فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه: (سفر الخروج ٣٢ : ٩-١٤) ^(١)

المحبة عند النصارى: يحبون الله كأب لابنه المسيح عيسى بن مريم - تعالى الله عما يصفون - ويحبون المسيح ابن الله وأم عيسى - مريم العذراء - وجبريل روح القدس، فيفردون الألوهية مرة لعيسى كون الله متمثلاً في عيسى، ومرة يثلثون الألوهية كون الرب متمثلاً في ثلاثة: الله وجبريل (روح القدس) وعيسى. والمحبة عندهم قمة الفضائل وأن الله ضحى بابنه الذي صلب تكفيراً لخطيئة آدم عليه السلام وذريته محبة لهم، وحيث بني آدم محل الخطيئة، فإن الكنيسة محل التكفير عنها، والرهبان وسطاء الغفران بين الرب وبني آدم. يقول أصحاب الفكر الوجودي ^(٢) منهم (غفران الخطايا دليل حب الله للإنسان؛ ذلك الحب الثابت الذي لا يتغير، ولا يتحول، لأنه حب أزلي؛ وبوصول المرء إلى حب الله يجد الراحة والأمان، والشعور بالسلام، فيمتلئ قلبه حباً للخلق، وحبه للخلق تعبير عن حبه لله، وهنا يفترق الحب المسيحي عن الحب بمفهوم أهل الأرض) ^(٣) وأصل الإنجيل الذي بين أيديهم اليوم محرف بنص القرآن الكريم، وهو ما يقره التاريخ العلمي لدراسة الأناجيل سندا ومتنا، حيث هي مجموعة كتابات كتبت بعد عيسى عليه السلام، قال الدكتور محمد شلي شتيوي: (وهذه الكتب والأناجيل والرسائل التي أقرت من الجامع الكنسية المتعددة على قسمين: قسم اتفق قدماء النصارى على صحته فأقر في أول مجمع كنسي، وهذا القسم يضم عشرين كتاباً، منها الأناجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وكذلك كتاب أعمال الرسل، ورسائل بولس وهي ثلاث عشرة رسالة، والرسالة الأولى لبطرس، والأولى ليوحنا سوى بعض فقرات منه محل شك. أما القسم الثاني من كتب العهد الجديد، فهو يتكون من ست رسائل، وكتاب مشاهدات يوحنا، وكتب هذا القسم اختلف فيها قدماء النصارى، فلما عقدت الجامع الكنسية للنظر في الأناجيل والرسائل، اتفقت هذه الجامع على صحة بقية الرسائل والكتب، كما يلي: في عام ٣٦٤ م عقد مجمع كنسي يسمى بمجلس (لوديسيا) وفيه حكم المجمع بصحة رسائل ست وهي: رسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، والثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، ورسالة بولس إلى العبرانيين. وفي عام

(١) التوراة دراسة وتحليل (مقارنة الأديان)، الدكتور محمد شلي شتيوي، الكويت: مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ص: ٢٤.

(٢) الفكر الوجودي: هو النظر إلى الحقائق الموجودة في ذات الإنسان بشكل فردي وبطرق عقلية وعلمية مجردة. وهو مضاد للميتافيزيقا، أي يرفض وينقض الفكر الميتافيزيقي الذي يؤمن بالنظرة التأملية القائمة على علم ما وراء الطبيعة والوجود عن طريق الإلهام و علم الغيب.

(٣) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، د. سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود، الرياض: مكتبة العبيكان،

ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص: ٥٢٦.

٣٩٧م اجتمع المجمع الكنسي، وانتهى الاجتماع بالموافقة على صحة كتاب مشاهدات يوحنا. وبهذه المجالس الكنسية أصبحت الكتب والرسائل المشكوك فيها صحيحة وواجبة التسليم^(١) وفي مجمع نيقية تم اعتماد الاتفاق على صحة الأناجيل الأربعة بعد مناظرات بين المختلفين وإتلاف أخرى، أي بعد المسيح عليه السلام بثلاثة قرون. وهم كاليهود ، فإن اليهود اختلفوا فيما بينهم على أسفار كتابهم المقدس المعروف بالعهد القديم، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون... وكذلك النصارى اختلفوا كما اختلف الذين من قبلهم، في أسفار إنجيلهم المعروف بالعهد الجديد ويلغون بعضها حسب قرارات مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، ثم يتفقون على أربعة أناجيل (إنجيل متى - إنجيل مرقس - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا) بالإضافة إلى مجموعة رسائل، ولا تتحد هذه الأناجيل نصاً ومضموناً.

الحبة عند الرافضة: دينهم خليط من الفلسفات اليونانية والعبادات الجوسية الفارسية والاعتقادات اليهودية والنصرانية، والحبة عندهم، خلط في العقيدة، ومنه تأصل عندهم الغلو في علي رضي الله حتى وصفوه بصفات الألوهية. أو أحقيقته بالرسالة دون النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث يعتقدون خيانة جبريل للأمانة وتبليغ الرسالة ل محمد صلى الله عليه وسلم وهي لعلي ، وتظهر عقيدتهم الباطلة في مناقضة أصول الإسلام في النبوة والرسالة والقرآن والإمامة ولعن الأصحاب رضي الله عنهم أجمعين والغلو في الأشخاص البشرية والأثرية والأحياء والأموات، والحبة جزء من كل في أسباب الانحراف عندهم وكل في جزء من ملتهم المخالفة للشريعة، والغلو في آل البيت مظهر عام في عقيدتهم، يقول صاحب كتاب الشيعة والتصحيح (إن من المؤسف حقاً هو أن الغلو النظري مثل العملي دخل أعماق القلوب عن طريق فقهاء المذهب والمجتهدين ، فالمسؤولية الأولى والأخيرة ، تقع على عاتقهم لأنهم هم الذين قادوا العوام على الطريق ، فهناك أمور نسبتها كتب الشيعة إلى الأئمة ، وتبناها فقهاء المذهب وذكرها كتب الروايات الموثوقة عندهم مثل : (أصول الكافي) و (الوافي) و (الاستبصار) و (من لا يحضره الفقيه) و (وسائل الشيعة) وغيرها من الكتب والمصادر الشيعية، التي في كثير منها يظهر الغلو والكذب^(٢).

الحبة عند الجهمية: الحبة عندهم من الصفات المنفية عن الله، فهم أتباع الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم القائلين بإنكار الأسماء ونفي الصفات عن الله تعالى ومنها الحبة، هروبا من المشابهة بين الخلق والخالق على حد زعمهم، فمن عقيدتهم (لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن

(١) الإنجيل دراسة وتحليل (مقارنة الأديان) ، الدكتور محمد شلي شتيوي، الكويت: مكتبة الفلاح ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ، ص: ٢٤.

(٢) الشيعة والتصحيح ، الدكتور موسى الموسوي. ١٤٠٨ هـ. ص: ٨٣.

ذلك يقتضي تشبيهاً^(١) وهم المظهرون لبدعة القول بالحلول والاتحاد. وهو أن الله يحل في كل مكان ويتحد بالأعيان والأبدان - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

المحبة عند المعتزلة: المحبة عندهم صفة من الصفات المنفية عن الله، فهم أصحاب واصل بن عطاء^(٢) والقائلين بنفي الصفات عن الله ومنها المحبة؛ هروبا من التشبيه وأوقعهم ذلك في تأويل الآيات والصفات. ومذهب المعتزلة مركب من مذهب الجهم ، في نفي الصفات والقدر. وهم القائلون ببدعة خلق القرآن، ذكر الشهرستاني عنهم، قوله في الملل والنحل (وقد اجتمعت المعتزلة على نفي الصفات عن الله عز وجل وتعالى عن قولهم، كالعلم والقدرة والسمع والبصر، واجتمعت أن كلام الله محدث وإرادته محدثة)^(٣)

المحبة عند القدرية: وهم نفاة القدر^(٤) وأن الإنسان هو خالق أفعاله، ومنها المحبة، ومنهم القدرية الجبرية الذين يعتقدون أن الله خالق أفعال العباد، وليس لهم اختيار في الفعل، فهم مجبورون. وتأولوا الآيات الواردة في الخلق والخالق والقدر والمشيئة على معنى يناسب قولهم ، وانحرفوا عن الصواب في الجمع بين القدر الإلهي والقدرة الاختيارية للإنسان و لم يفقهوا التوافق بين الإرادة القدرية والإرادة الشرعية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن المعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره: بقضائه وشرعه. وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية ومشركية وإبليسية فالجوسية: الذين كذبوا بقدر الله وإن آمنوا بأمره ونهيه ؛ فغلاهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقته وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم. والفرقة الثانية: المشركية الذين أقرروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر والنهي ؛ قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ)^(٥) فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعي

(١) الملل والنحل ، أبو الفتح محمد عبد الكريم أحمد الشهرستاني ، بيروت: دار المعرفة. ج ١، ص: ٨٦.

(٢) واصل بن عطاء البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري الغزال، وقيل ولاؤه لبني ضبة. مولده سنة ثمانين بالمدينة، وكان يلشغ بالراء غينا، رأس الاعتزال، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا حلقة الحسن، فسموا المعتزلة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٤/٥) ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى " الواصلية " وهو الذي نشر مذهب " الاعتزال " في الآفاق: ولم يكن غزالا، وإنما لقب به لتردده على سوق الغزاليين بالبصرة. له تصانيف، منها " أصناف المرجنة " و " المزلّة بين المزلتين " و " معاني القرآن " و " طبقات أهل العلم والجهل " و " السبيل إلى معرفة الحق " و " التوبة " انظر الإعلام للزركلي (١٠٩/٨).

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، أبو الفضل عباس من منصور التريني السكسكي الحنبلي ، تحقيق: بسام علي سلامة العموش، الأردن: الزرقاء: مكتبة المنار ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ. ص: ٥٠.

(٤) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري، شرح : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، القاهرة : دار ابن حزم . ط ١، ١٤٣٠هـ ، ص: ٣١٠ .

(٥) سورة النحل: ٣٥.

الحقيقة من المتصوفة. والفرقة الثالثة: وهم الإبليسية الذين أقروا بالأمرين؛ لكن جعلوا هذا متناقضا من الرب - سبحانه وتعالى - وطعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر ذلك عن إبليس مقدمهم (١)

المحبة عند الصوفية : يرون أن محبة الله صفة من صفاته، وهي مطلب لكل مسلم أن يحبه الله، أما محبتهم لله فقد انحرفت عند غلاة الصوفية عن الحد الشرعي، فأصبحوا يتنادون بالكرامات المختلقة المكذوبة والبدع الظاهرة. ووصلت بهم إلى حد الكشف والمعرفة ورؤية الله، والتعمق في معنى الولاية ووصول الولي إلى مرحلة ألا تكليف، ووصلت بهم الانحرافات في محبة النبي ﷺ إلى حضوره معهم في منامهم ويقظتهم. وإقامة البدع القولية والسلوكية ومحاربة من يدعو إلى الاعتدال بلزوم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. ومن ضلالاتهم كما وصفهم الباحثون في الفرق ، قال عبد الرحمن الوكيل في وصف بعض كراماتهم المزعومة: (وقرأ في طبقات المناوي زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى، وأن جده خاطب الشافعي رضي الله عنه في قبره، وأن روح "ذا النون المصري (هو ثوبان بن إبراهيم النوبي توفي سنة ٢٤٥هـ) كانت تدبر أجساماً عدة (سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسداً) وأن الخواص، كانت تتزل عليه الموائد من السماء، وأن الخضر كان يسقيه، وقرأ فيه تفضيل البسطامي (هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي توفي سنة ٣٦١هـ) الأولياء على الأنبياء (هذا دين الصوفية، فابن عربي يقول: مقام النبوة في برزخ... فوق الرسول، ودون الولي) وأن طارقاً طرق بابَه، فقال البسطامي: من تطلب؟ فقال: أبا يزيد، فأجابه: ما في البيت غير الله (اقرأ كل هذا في الكواكب الدرية للمناوي في تراجم من ذكرت أسماءهم) وقرأ للسلمي زعمه أن داود والخضر، لقيا إبراهيم بن أدهم - وهو "بوذا" الصوفية - وخاطباه، وأكلا معه، وعلماه اسم الله الأعظم (ص: ٣٠، ٣٤ الطبقات للسلمي، ص: ٨ الرسالة للقشيري) (٢)

والحبة عند أهل السنة والجماعة - من صالح سلف الأمة وخلفهم - كما أسلفنا صفة من صفات الله، يقرون بها ويشيئونها بأدلة الكتاب والسنة، ومنهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه ورسوله ﷺ من الأسماء والصفات، على وجه يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تأويل ويمرونها كما جاءت. ومحبتهم للرسول ﷺ محبة إيمان وعاطفة واتباع. آمنوا به واتبعوا سنته حيا وميتا ولزموا سنته عقيدة وقولا وعملا، ويحبون كل مؤمن ومسلم على ما معه من إسلام وإيمان، قال صاحب كتاب العواصم من القواصم : (فتدارك الله الإسلام والأنام - وانجابت الغمة انجياب الغمام، ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله، وإقامة دينه على التمام، وإن كان قد أصاب ما أصاب

(١) التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عودة السعوي ، ط ١، ١٤٠٥هـ ، ص: ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل ، بيروت: دار الكتب العلمية ط ٤ ، ١٩٨٤م، ص: ١٢٣.

من الرزية الإسلام - بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان إذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائباً في ماله بالسُّح، فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها - وفيه مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فكشف عن وجهه، وأكب عليه يقبله، وقال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حياً وميتاً، والله لا يجمع الله عليك الموتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها" ثم خرج إلى المسجد - والناس فيه، وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا - فرقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُ عَنْ أَفْقَابِكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِتْ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) فخرج الناس يتلوها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم^(٢) أحبوه الحجة الواجبة شرعاً، محبة اعتدال، وأنه عبد الله ورسوله، ومن واجب الدعاة إلى الله تبصير الناس بمن ضل في هذا الجانب لما له من أثر في مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، سواء كان الانحراف في حق الرسول ﷺ أو حق الله تعالى، ومن ذلك بيان الفرق بين المعنى الشرعي والمعنى البدعي للحب والتفريق بينه وبين العشق، كما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (وأما تنازع الناس في لفظ العشق فمن الناس من أهل التصوف والكلام وغيرهم من أطلق هذا اللفظ في حق الله كما روى عبد الواحد بن زيد^(٣) فيما يؤثره عن أحد أنبياء الله أنه قال: عشقني وعشقتني، وقال هؤلاء: العشق هو المحبة الكاملة التامة وأولي الناس بذلك هو الله، فإنه هو الذي يجب أن يحب أكمل محبة، وكذلك هو يحب عبده محبة كاملة، ولو قيل: أن العشق هو مُنتهى المحبة أو أقصاها أو نحو ذلك فهذا المعنى حق من العبد فإنه يجب ربه منتهى المحبة وأقصاها، والله يحب عبده مثل إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم تسليماً أقصى محبة تكون لعباده ومنتهاهما، وهما خليلاً لله، كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وقال: لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله، وذهب طوائف من أهل العلم والدين إلى إنكار ذلك في حق الله ولا ريب أن هذا اللفظ ليس مأثوراً عن أئمة

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت: دار الكتب العلمية ط ٤، ١٩٨٥م، ص: ٤١-٤٢.

(٣) عبد الواحد بن زيد، الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري. حدث عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن راشد، وعباد بن نسي، وعدة. قال البخاري: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة، حتى غفل عن الاتقان، فكثرت المناكير في حديثه. فارق عمرو بن عبيد لاعتزاله، وقال بصحة الاكتساب، وقد نسب إلى شيء من القدر، ولم يشهر، بل نصب نفسه للكلام في مذاهب السالك، وتبعه خلق. وقد كان ثابت البناني، ومالك بن دينار يعظان أيضاً، ولكنهما كانا من أهل السنة. وكان عبد الواحد صاحب فنون، داخلاً في معاني الحجة والخصوص، مات بعد الخمسين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٨/٧).

السلف^(١) وأنقل هنا وأختصر تفصيل الرد على هذا الانحراف العقدي في حب الله من محبته لعباده ومحبة عباده له، كما فصله^(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، قال:
وَالَّذِينَ أَنْكَرُوهُ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ مَأْخُذَانِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى مَأْخُذَانِ:
المأخذ اللفظي :

المأخذ الأول : أما من جِهَةِ اللَّفْظِ فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ مَأْثُورًا عَنِ السَّلَفِ وَبَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَتَّبِعُ فِيهَا الْأَلْفَاظَ الشَّرْعِيَّةَ فَلَا نَطْلُقُ إِلَّا مَا يَرِدُ بِهِ الْأَثَرُ.
المأخذ الثاني: أَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ فِي اللُّغَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي مُحَبَّةِ جِنْسِ النِّكَاحِ مِثْلَ حُبِ الْإِنْسَانِ الْأَدَمِيِّ مِثْلَهُ مِمَّنْ يَسْتَمْتَعُ بِهِ مِنْ امْرَأَةٍ.
المأخذ المعنوي:

قِيلَ إِنَّ الْعِشْقَ فَسَادٌ فِي الْحُبِّ وَالْإِرَادَةُ أَوْ فَسَادٌ فِي الْإِدْرَاكِ وَالتَّخِيلِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّ اللَّهِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ.

وهنا أعرض الجوانب المتعلقة بالمحبة وأثرها في عقيدة المسلم بما ورد من لفظ الحب الصريح في نصوص الكتاب والسنة، وفق ما يلي :

أولاً: محبة العبد لله تعالى:

المحبة صفة من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، بلفظ الحب الصريح وهو أن الله يُحِبُّ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)^(٣) وقد ذكرنا في الفصل الأول من هذه الدراسة محاب الله تعالى، ومن مسلمات أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، أن محبة الله مقرونة بطاعته، فهو سبحانه يحب من أطاعه، ومن سعى ليجبه الله، طلباً لرضاه، عليه أن يعمل بطاعة الله والعمل بما يرضيه، وهذه هي المحبة الصادقة الخالصة، قال ابن القيم في كتابه طريق المهجرتين وباب السعادتين : (المحبة الخالصة أن يحب المحبوب لكمالته، وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته. وأن الذي يوجب هذه المحبة فناء العبد عن إرادته لمراد محبوبه، فيكون عاملاً على مراد محبوبه منه لا على مراده هو من محبوبه. فهذه هي المحبة الخالصة من درن العلل وشوائب النفس، وهي التي تستلزم إيثار المحبوب على غيره ولا بد، وكلما كان سلطان هذه المحبة أقوى كان هذا الإيثار أتم وهي التي تنزايد، وفي مثل هذا قيل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه *** هذا لعمر ك في القياس شنيع

(١) قاعدة في المحبة، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ص: ٥٢.

(٢) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٣٩.

(٣) سورة التوبة: ٤.

لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن الحب لمن يحب مطيع

وهاهنا دقيقة ينبغي التفتن لها، وهي أن إثارة الخبوب نوعان: إثارة معاوضة ومتاجرة، وإثارة حب وإرادة. فالأول: يؤثر محبوبه على غيره طلباً لحظه منه، فهو يبذل ما يؤثره ليعاوضه بخير منه.

والثاني: يؤثره إجابة لداعي محبته، فإن المحبة الصادقة تدعوه دائماً إلى إثارة محبوبه، فإثارة هو أجل حظوظه، فحظه في نفس الإثارة لا في العوض المطلوب بالإثارة، وهذا لا تفهمه إلا النفس اللطيفة الورعة المشرقة^(١)، ومحبة الله تعالى هي طريق الشعور بلذة الإيمان وحلاوته. وهي مقرونة بمحبة رسوله ﷺ، ويجب أن تقدم على كل محبة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(٢). وغلبة الهوى والشهوة على نفس المسلم، قد تخرجه عن باب الطاعة إلى باب المعصية، ويفقد المحبة أو تنقص أثناء القيام بالمعصية، فجعلت الحدود رادعا للنفس الأمارة بالسوء وحفظاً للحقوق، والتوبة تجديداً للمحبة وباباً للمغفرة، والمعصية لا تترع الأصل من نفس المؤمن وأن عقيدته محبة الله ورسوله ﷺ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلدته في الشراب، فأُتي به يوماً فأمر به فجُلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٣). قال ابن حجر في الفتح: (وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه والأمر بالدعاء له وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب لأنه ﷺ أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وأن من تكررت منه المعصية لا تترع منه محبة الله ورسوله ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم^(٤) أن نفي الإيمان عن شارب الخمر لا يراد به زواله بالكلية بل نفي كماله كما تقدم ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيداً بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فإنه يخشى عليه بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه شيء حتى يسلب منه ذلك نسأل الله العفو والعافية)^(٥) ومن معاني أسماء الله تعالى الحبيب، أورد البخاري في كتاب بدء الوحي: (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ

(١) طريق المخرجين وباب السعادت، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة: دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤ هـ، ص: ٢٩٨.

(٢) انظر صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب حلاوة الإيمان حديث رقم: (١٢/١).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الحدود- باب من يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة حديث، رقم: (١٥٨/٨).

(٤) من كلام المؤلف يرحمه الله في كتابه.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ١٢، ص: ٧٨.

الْمَجِيدُ الْكَرِيمُ وَالْوَدُودُ الْحَبِيبُ يُقَالُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ^(١). ومن عقيدة المسلم تعظيم قدرة الله، وتعظيم كلمة التوحيد فمن حققها وعمل بمقتضاها فقد نجا، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ^(٢))^(٣). أورد صاحب تحفة الأحوذى: (قوله: (ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية إلخ)؛ لأنها حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك، وأن صاحبه خالد في النار، كذا في تفسير البيضاوي)^(٤) وعن عمران بن الحصين عليه السلام، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي سَرِيَّةٍ. فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَزَادَ فِيهِ: فَبَدَتْهُ الْأَرْضُ: فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ وَقَالَ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبِلَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ أَنْ يُرِيكُمْ تَعْظِيمَ حُرْمَةِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -»^(٥). أورد ابن حجر في الفتح: (قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وقال القرطبي: في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك)^(٦) والمحبة صفة من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، وهي محبة حقيقية تليق بجلاله كسائر صفاته من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، فإن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(٧) قال الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: "يا أيها الذين آمنوا"، أي: صدقوا الله ورسوله، وأقروا

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب(وكان عرشه على الماء)، مقدمة الباب (١٢٣/٩).

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة النساء، حديث رقم: ٣٧٠٣ (٢٤٧/٥). ضعف إسناده الألباني.

(٤) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ٢٢١٧.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الكف عن من قال لا إله إلا الله، حديث رقم: ٣٩٣٠ (٨٤/٥). حسنه الألباني لغيره. وانظر: مسند الإمام أحمد - حديث عمران بن حصين، حديث رقم: ١٩٩٣٧ (١٦٢/٣٣). وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْزُوا بَنِي فُلَانٍ مَعَ فُلَانٍ، فَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْ لُحْمَتِي مَعَهُمْ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، قَالَ: وَهَلْ أَحْدَثْتَ، قَالَ: لَمَّا هَرَمَ الْقَوْمُ أَذْرَكْتُ رَجُلَيْنِ بَيْنَ الْقَوْمِ وَالنِّسَاءِ، فَقَالَا إِنَّا مُسْلِمَانِ أَوْ قَالَا: أَسْلَمْنَا فَقَتَلْنَاهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَمَّا أَقَاتِلُ النَّاسَ إِلَّا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ لَا اسْتَغْفِرُ لَكَ، أَوْ كَمَا قَالَ، فَمَاتَ بَعْدَ فِدَقْتِهِ عَشِيرَتُهُ فَأَصْبَحَ قَدْ بَدَأَتْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ دَفَنُوهُ وَحَرَسُوهُ ثَانِيَةً فَبَدَتْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ قَالُوا لَعَلَّ أَحَدًا جَاءَ وَأَنْتُمْ نِيَامُ فَأَخْرَجَهُ، فَدَفَنُوهُ ثَالِثَةً ثُمَّ حَرَسُوهُ فَبَدَتْهُ الْأَرْضُ ثَالِثَةً فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَلْقَوْهُ أَوْ كَمَا قَالَ.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٢، ص: ١٩٥ - ١٩٦.

(٧) سورة المائدة: ٥٤.

بما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ من يرتد منكم عن دينه"، يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم، فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضر الله شيئاً، وسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يقول: فسوف يجيء الله بدلا منهم، المؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، بقوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله (١) وابتليت الأمة بمن جاء من أهل الزيف بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى، قال شارح العقيدة الطحاوية: (الخلة: كمال المحبة. وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والحديث (٢) توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم (٣) سبحانه الله وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وقد فسر أهل تعطيل المحبة من الله بالثواب صرفا لها عن حقيقتها؛ لضلال طريقهم في نفي الأسماء وتعطيل الصفات، وأبسط هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في تحرير مسألة المحبة - محبة الله - عند مناقشته لمسألة من ظن أن التمتع في الجنة تنعم بالمخلوق فقط، مما جرى عليه إنكارهم رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والتلذذ بالنظر إليه أو تألولها عن معناها إلى معنا باطل، من الفرق الضالة و المتفقهة والمتصوفة والمتكلمة، فأبسطه كما هو لوضوحه في لفظه ولشموله مكنن وأصل الانحراف في المحبة ومن ضل فيها، قال: (وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٌ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يَنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ وَيُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا؟ وَيُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ وَيُجْرِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ؛ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ}. وَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَحَبَّ كَانَتْ اللَّذَّةُ بَنِيْلَةً أَعْظَمَ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَثَمَةِ وَمَشَايِخِ الطَّرِيقِ كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ عَلِمَ الْعَابِدُونَ بِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَدَابَتْ نُفُوسُهُمْ فِي الدُّنْيَا شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَلَامُهُمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ. ثُمَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَافَقُوا السَّلَفَ وَالْأَثَمَةَ وَالْمَشَايِخَ عَلَى التَّنَعُّمِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَنَازَعُوا فِي " مَسْأَلَةِ الْمَحَبَّةِ " الَّتِي هِيَ أَصْلُ ذَلِكَ؛ فَذَهَبَ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا الْمَحَبَّةُ مَحَبَّةُ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ وَقَالُوا: هُوَ أَيْضًا لَا يُحِبُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَإِنَّمَا مَحَبَّتُهُ إِرَادَتُهُ لِلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَوَلَايَتُهُمْ. وَدَخَلَ فِي هَذَا الْقَوْلِ مَنْ ائْتَسَبَ إِلَى نَصْرِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ حَتَّى وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفٌ مِنْ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) ويقصد به: المخلوق..

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالح، تحقيق: أحمد شاكر، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١، ١٤١٨ هـ، ص: ٢٧٣.

أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ: كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ^(١) وَالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى^(٢) وَأَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ^(٣) وَأَمثال هؤلاء. وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ شُعْبَةٌ مِنَ التَّجَهُّمِ^(٤) وَالْإِعْتِرَالِ^(٥)؛ فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ أَنْكَرَ " الْمَحَبَّةَ " فِي الْإِسْلَامِ الْجَعْدُ^(٦) بْنُ دِرْهَمٍ أَسْتَاذُ الْجَهْمِ^(٧) بْنُ صَفْوَانَ؛ فَضَحَّى بِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ^(٨). وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقْبَلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ فَإِنِّي مُضَحٌّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؛ وَلَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ. وَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَنْمَتُهَا وَمَشَايِخُ الطَّرِيقِ: أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ وَيُحِبُّ. وَلِهَذَا وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَنْ تَصَوَّفَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ:

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادي، الفقيه الحنبلي، الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب، اشتهر بالقاضي أبو يعلى، ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٨٩) و تكملة الإكمال لأبي بكر البغدادي (٤ / ٥٥٧).

(٣) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٤) أي: تبعاً لعقيدة الجهمية الفرقة الضالة في الأسماء والصفات والإيمان والقدر والجنة والنار. ونسبت إلى الجهم بن صفوان، الضال الذي عاش في أواخر القرن الأول الهجري حتى ١٢٨ هـ.

(٥) أي: تبعاً لعقيدة المعتزلة الفرقة الضالة في الصفات والإيمان والقدر والجنة والنار. ونسبت إلى واصل بن عطاء، المعتزل لمجلس الحسن البصري يرحمه الله، والمعتزل لمذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات والقدر، عاش ما بين (٨٠ - ١٣١ هـ).

(٦) الجعد بن درهم: مؤدب مروان بن محمد الخليفة الأموي. وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. قال المدائني: كان زنديقاً. وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يداً، وأن له عينا ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٣/٥).

(٧) الجهم بن صفوان ظهر بخراسان ودعا إلى تعطيل صفات الرب عز وجل وإلى خلق القرآن. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٢٠/١). قال ابن عساکر وغيره: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري، وقيل الترمذي، وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران، حتى نفى إلى ترمذ، ثم قتل الجهم بأصبهان، وقيل بمر، قتله نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٨٢/٩). جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب: رأس (الجهمية) قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهماً استبقاه، فقال نصر: (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله، فقتل عام ١٢٨ هـ. انظر: الإعلام للزركلي (١٤٠/٢).

(٨) القسري الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري، الدمشقي، أمير العراقيين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان. روى عن أبيه، وعنه سيار أبو الحكم، وإسماعيل بن أوسط البجلي وإسماعيل بن أبي خالد، وحيد الطويل. وكان جواداً مدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف، وله دار كبيرة في مربعة القز بدمشق، ثم صارت تعرف بدار الشريف اليزيدي، قال يحيى الحماني: قيل لسيار: تروي عن مثل خالد؟ فقال: إنه أشرف من أن يكذب. قال خليفة بن خياط: عزل الوليد عن مكة نافع بن علقمة بخالد القسري سنة تسع وثمانين، فلم يزل واليها إلى سنة ست ومئة، فولاه هشام بن عبد الملك العراق مدة إلى أن عزله سنة عشرين ومئة بيوسف بن عمر الثقفي. قتل في الحرم سنة ست وعشرين ومئة، وعن عبد الرحمن ابن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالداً القسري في يوم أضحي، يقول: ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٥/٥).

كَأَبِي الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيِّ^(١)؛ وَأَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ وَأَمْثَالِهِمَا. وَتَصَرَّ ذَلِكَ أَبُو حَامِدٍ فِي " الْإِحْيَاءِ " وَغَيْرِهِ. وَكَذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي " الرِّسَالَةِ " عَلَى طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ كَمَا فِي كِتَابِ أَبِي طَالِبِ الْمُسَمِّي بِـ " قُوَّةِ الْقُلُوبِ " وَأَبُو حَامِدٍ مَعَ كَوْنِهِ تَابِعَ فِي ذَلِكَ الصُّوفِيَّةِ اسْتَدَ فِي ذَلِكَ لَمَّا وَجَدَهُ مِنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ مِنْ إِبْطَاتٍ نَحْوِ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا: يَعْشَقُ وَيُعْشَقُ. وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الْقَوَاعِدِ الْكِبَارِ بِمَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ^(٢) وَقَالَ تَعَالَى {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} ^(٣) ^(٤).

و خلاصة القول فيمن ضل في معنى اخبة قول شيخ الإسلام: (فباب محبة الله ضل فيه فريقان من الناس فريق من أهل النظر والكلام والمنتسبين إلى العلم جحدوها وكذبوا بحقيقتها، وفريق من أهل التَّعَبُّد والتَّصَوُّف والزهد أدخلوا فيها من الاعتقادات والإرادات الفاسدة ما ضاهوا بها المشركين، فالأولون يشبهون المستكبرين وهؤلاء يشبهون المشركين، ولهذا يكون الأول في أشباه اليهود ويكون الثاني في أشباه النَّصَارَى، وقد أمرنا الله تعالى أن نقول: اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غير المغضوب عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ^(٥) ومحبة الله تكون بلزوم الصراط المستقيم وهي صبغة الدين الحق، ولها أثر عظيم في عقيدة المسلم وحياته وبموجبها تكون نجاته، وإيضاح ذلك وبيان من أهم واجبات الدعاة إلى الله حيث العقيدة مقدمة على غيرها، وغيرها يقوم عليها.

ثانيا: محبة المسلم للنبي ﷺ:

إن محبة الرسول ﷺ من أصول الإيمان، ولا تصح عقيدة المسلم بدونها، بل عليها أمر الشرع ونهيه، عن عبد الله بن هشام ؓ، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري الصوفي، حدث عن أبي الحسين أحمد بن محمد الخفاف، وأبي بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي، وأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، في آخرين، وحدث بكتاب الصحيح لأبي عوانة عن أبي النعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرائيني، حدث عنه أولاده أبو نصر وعبد المنعم وأبو عبد الله الفراوي وزاهر الشحامي، وأخوه وجيه وغيرهم، وصنف كتابا في علوم الصوفية، قال أبو سعد السمعاني: ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وتوفي في سادس عشر ربيع الآخر من سنة خمس وستين وأربعمائة بنيسابور. انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد لأبي بكر البغدادي (٣٦٦/١)

(٢) سورة المائدة : ٥٤ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٤) الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٨هـ، ج ٢، ص: ٤٠٣.

(٥) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٤٥.

عمر^(١). قال بدر الدين العيني في شرحه: (وهذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل قلب، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك، قال الله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (المائدة: ٥٤) ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم؛ لأن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره ومثلته أعلم، والله أعلم. ويقال المحبة إما اعتقاد النفع أو ميل يتبع ذلك أو صفة مخصصة لأحد الطرفين بالوقوع، ثم الميل قد يكون بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة ولما يستلذه بعقله كمحبة الفضل والجمال، وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار عنه، ولا يخفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال أنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بمدايتهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم، ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين لو كانت فيهما، فيجب كونه أحب منهما لأن المحبة ثابتة لذلك حاصلة بحسبها كاملة بكمالها واعلم أن محبة الرسول عليه السلام إرادة فعل طاعته وترك مخالفته وهي من واجبات الإسلام^(٢) ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم أبلغ في حبه من غيرهم وفرحوا بهذا الحب وجعلوه فوق حب الأموال والأبناء والوالدين والناس أجمعين، دلالة على قوة وصدق إيمانهم، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣). وهذا الحب مرتبط شرعاً، بحب القلب وهو الميل بالخير والنفع، وحب ما جاء به من الأمر والمنع، والحرص على ما يوصل إلى الفوز بشفاعته، وحب البركة بجسده الطاهر المبارك حال حياته ﷺ، عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة. عندنا من شعر النبي ﷺ أصبنا من قبل أنس — أو من قبل أهل أنس — فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها.^(٤) أورد ابن بطال في شرحه: (قال المهلب: هذه الترجمة أراد بها البخاري رد قول الشافعي أن شعر الإنسان إذا فارق الجسد نجس، وإذا وقع في الماء نجسه، وذكر قول عطاء: أنه لا بأس باتخاذ الخيوط منها والحبال، ولو كان نجساً لما جاز اتخاذه. ولما جاز اتخاذ شعر النبي ﷺ، والتبرك به، علم أنه طاهر، وعلى قول عطاء جمهور العلماء^(٥) وأصل صدق محبة النبي ﷺ اتباعه، والعمل على لزوم سنته، وتفصيل هديه والأخذ بأمره، والانتفاء عن نهيه، قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٦) أورد القرطبي في تفسيره: (قال سهل^(٧) بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب الله

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأيمان والنذور- باب كيف كانت يمين النبي ﷺ حديث رقم: ٦٦٣٢ (٨/١٢٩).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني الحنفي، بيروت: دار الفكر، ج ١، ص: ١٤٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، حديث رقم: ١٣ (١/١٢).

(٤) انظر: صحيح البخاري-الوضوء- باب الماء الذي يغسل فيه شعر الإنسان، حديث رقم: ١٧٠ (١/٤٥).

(٥) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٢٦٥.

(٦) سورة الحشر: ٧.

(٧) سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد. صحب خاله محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه. له كلمات نافعة، ومواظب حسنة، وسئل سهل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت، ويصب باقي حبره في قبره. ومن كلام سهل: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه. توفي في الحرم سنة ثلاث وثمانين ومئتين، ويقال: عاش ثمانين سنة أو أكثر. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣٠/١٣).

وحب القرآن وحب النبي وحب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد و البلغة. وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " قال: (على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس) خرجه أبو عبد الله الترمذي ^(١) ومحبة النبي ﷺ دين وعمل صالح يتقرب به، غايته التعبد لله بذلك، وهنا يلزم فيها ميزان الشرع في القبول وهو الإخلاص وموافقة حدود الشريعة، وهو أن النبي ﷺ عبد الله ورسوله الأسوة الحسنة، وهذه المتزلة التي يتعبد الله بها، وهو مطلب النبي ﷺ من أمته، عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله: «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا تستجربنكم (الشياطين) أنا محمد بن عبد الله، أنا عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي (أنزلنيها) الله» ^(٢). فمن أعطاه من صفات الألوهية فقد جار وطغى وأفرط، ومن انتقص من شخصه أو صفته أو رسالته أو اتباع هديه، فقد جار وبغى وفرط، عن ابن عباس رضي الله عنهما سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ عَلَى الْمَنبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

(لَا تُظَرُّونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) ^(٣). ومن نسي ذكره ﷺ وهجر القرآن وأعرض عن سنته، فقد جار وعصى وجفا، ومن سب واعتدى وخون، ولشرعه حرّف وأنكر وهون، فقد خرج عن الملة وكفر. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الشُّرَكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفُ ^(٤)) الْأُتُوفُ كَانَ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ وَالنَّاسُ مَعَادُنُ خِيَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ) ^(٥). قال ابن حجر في الفتح: (فإن كل أحد من الصحابة بعد موته ﷺ كان يود لو كان رآه وفقد مثل أهله وماله، وإنما قلت ذلك لأن كل أحد من بعدهم إلى زماننا هذا يتمنى مثل ذلك، فكيف بهم مع عظيم منزلته عندهم ومحبتهم فيه) ^(٦) وكان من حب الصحابة له ﷺ حب لزوم الصحابة له والقرب منه، حتى في أشرف أوقاته وهو وقت نزول الوحي عليه، عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٦٠ - ٦١.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٥٥١ (٢٣/٢٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب واذكر في الكتاب مريم، حديث رقم: ٣٥٨٩ (١٩٦/٤).

(٤) (ذُلْفُ) الدَّلْفُ بالتحريك قَصْرُ الْأَنْفِ وَصِغْرُهُ وَقِيلَ قَصْرُ الْقَصْبَةِ وَصِغَرُ الْأَرْنَبَةِ وَقِيلَ هُوَ كَالْحَنْسِ، وَقِيلَ هُوَ غِلْظٌ وَاسْتِواءٌ فِي طَرَفِ الْأَرْنَبَةِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (١١١/٩).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامة النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٥٨٩ (١٩٦/٤).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٦٠٧.

اللَّهُ فَاتَّاهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ جَبَّةٌ. بِهَا أَثَرٌ مِنْ خُلُقٍ^(١) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحْرَمْتُ بَعْمَرَةَ. فَكَيْفَ أَفْعَلُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ. فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ. وَكَانَ عَمْرٌ يَسْتُرُهُ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، يُظْلُهُ. فَقُلْتُ لِعَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَحِبُّ، إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، أَنْ أُدْخِلَ رَأْسِي مَعَهُ فِي الثَّوْبِ. فَلَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، خَمَرَهُ عَمْرٌ ﷺ بِالثَّوْبِ. فَجَبَّتُهُ فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مَعَهُ فِي الثَّوْبِ. فَظَرْتُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا سَرَّيَ عَنْهُ قَالَ «أَيْنَ السَّائِلُ أَنْفًا عَنِ الْعُمْرَةِ؟» فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ. فَقَالَ «انْزِعْ عَنْكَ جَبَّتَكَ. وَاعْسِلْ أَثَرِ الْخُلُقِ الَّذِي بِكَ. وَافْعَلْ فِي عُمْرَتِكَ، مَا كُنْتُ فَاعِلًا فِي حَجَّكَ»^(٢). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (وأما إدخال يعلو رأسه ورؤيته النبي ﷺ في تلك الحال وإذن عمر له في ذلك فكله محمول على أنهم علموا من النبي ﷺ أنه لا يكره الاطلاع عليه في ذلك الوقت وتلك الحال لأن فيه تقوية الإيمان بمشاهدة حالة الوحي الكريم والله أعلم)^(٣) وخلاصة القول هنا أن محبة المسلم للرسول ﷺ من أعظم الواجبات وهي من أصل الإيمان ومناطها القلب والقول والعمل في تحقيق معنى الشهادتين قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ^(٤): هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة الحممدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحممدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ"^(٥) ولهذا قال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} وبيان هذا المنهج في محبة الرسول ﷺ من واجبات الدعاة إلى الله؛ حيث به يستبين المسلم الحق من الضلال في أهم مجال من حياته، وهو مجال العقيدة. ولا ينفع المرء محبة العاطفة وحكم العقل؛ إلا أن تكون الموافقة في المتابعة إيماناً بالحق، واتباعاً لما جاء به الرسول ﷺ بحق، فلم تنفع هرقل الروم المعرفة بحقيقة النبوة، ومحبته

(١) الخلق من (خلق) الخاء واللام والقاف أصلاً: أحدهما تقدير الشيء، والآخر مَلَاَسَة الشيء. والخلق معروف، وهو الخلاق أيضاً. وذلك أن الشيء إذا خُلِقَ مُلَسَّ. ويقال ثوبٌ خُلِقَ وَمِلْحَفَةٌ خُلِقَ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢١٤). وبعضهم يقول الخلقاء والخلق والخلق ضرب من الطيب. انظر: لسان العرب لابن منظور (٨٥/١٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الحج-باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطب عليه، حديث رقم: ٢٨٥٩ (٥/٤).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٨، ص: ٨٠.

(٤) سورة آل عمران: ٣١ - ٣٢.

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب الأفضية-باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: ٤٥٩٠ (٥/١٣٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٢.

لقاء الرسول ﷺ عندما أرسل له رسالة يدعو بهما إلى الإسلام، فسأل أبا سفيان عنه وكان كافرا، كما في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس ومنه: (ثم قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرُّسلُ تُبعثُ في أحساب قومها. وسألتك هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلتُ رجُلٌ يَطْلُبُ ملكَ آبائه. وسألتك عن أتباعه أضعفأؤهم أم أشرفهم؟ فقلت بل ضعفأؤهم، وهم أتباعُ الرُّسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليدعَ الكذبَ على الناس ثم يذهب فيكذبَ على الله. وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطةً له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمانُ إذا خالطَ بشاشةَ القلوب. وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمانُ حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحربُ بينكم وبينه سجالاً ينالُ منكم وتنالون منه، وكذلك الرُّسلُ تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرُّسلُ لا تغدر. وسألتك هل قال أحدٌ هذا القولَ قبله؟ فزعمت أن لا، فقلتُ لو كان قال هذا القولَ أحدٌ قبله قلتُ: رجُلٌ ائتمَّ بقول قيلَ قبله. قال: ثم قال: بمِ يأمرُكم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف. قال: إن يك ما تقولُ فيه حقاً فإنه نبيٌّ، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أعلم أنه نبيٌّ، ولو أني أعلمُ أني أخْلصُ إليه لأحببتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه، وليُلبِغَنَ ملكُهُ ما تحتَ قدميٍّ^(١). والنبي ﷺ خليلُ الله وحبيبه وجبت محبته شرعا وإيمانا ورفع الله على غيره من إخوته الأنبياء شفاعته وشأننا، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بَأْعَجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلِمَةً تَكْلِيمًا. وَقَالَ آخَرُ: فَعَيْسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ. وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبْتُكُمْ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعَيْسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلْقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلُنيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ»^(٢).

ثالثا: محبة المسلم لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

إن قدر الله تعالى ومشيتته لهذه الأمة، أن يتولى أمرها بعد رسولها أربعة من الصحابة العظام الذين كان لهم السبق للإسلام من المهاجرين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ومن ناصر الإسلام في مرحلته الأولى حيث

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التفسير- سورة آل عمران- باب (قول يا أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله)، حديث رقم: ٤٥٥٣ (٣٥/٦). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الجهاد والسير- باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، حديث رقم: ٤٧٠٧ (١٦٣/٥).

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٦١٦ (٥٨٧/٥). ضعفه الألباني.

القلة والسرية، وفي مرحلته الثانية حيث الجهر بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيلها حتى ظهر الإسلام وانتصر، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر الملقب بالصدّيق وعمر بن الخطاب الملقب بالفاروق، وعثمان بن عفان الملقب بذي النورين، وعلي بن أبي طالب أبو السبطين الحسن والحسين أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ، واصطلاح المؤرخون على تسمية عهدهم بالخلافة الراشدة وهم بالخلفاء الراشدين، ومحبتهم واجبة شرعاً، ومحبتهم بنيت على الدين؛ لما لهم من الفضل في نصوص الشرع الحكيم، وما قدره الله لهم في التفضيل والتقديم، ومحبتهم تأتي على هذا القدر من الترتيب: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، أورد شمس الدين السفيّري في شرحه لصحيح البخاري: (سئل العراقي - رضي الله عنه - من أحب علياً أكثر من أبي بكر وعمر وعثمان هل يكون بذلك آثماً أم لا؟ أجاب: بأن المحبة قد تكون لأمر ديني، وقد تكون لأمر دنيوي، فالحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقد الإنسان أن أبا بكر أفضل ثم أحب علياً من جهة الدين أكثر، كان هذا تناقضاً وهو آثم بهذه المحبة، وأما المحبة الدنيوية فليست لازمة فإذا أحب علياً أكثر من أبي بكر لأمر دنيوي تكون من أقاربه وغير ذلك، فلا تناقض في ذلك، وليس بآثم بهذه المحبة، إذ من اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر لكنه أحب علياً أكثر من أبي بكر، فإنه كانت المحبة المذكورة محبة دينية فهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر إلا بلسان، وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحب محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز، وإن كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية ككونه من ذرية علي - رضي الله عنه - أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع من ذلك والله اعلم)^(١) إن المعتقد السليم يكون في محبة الصحابة أجمعين وتفضيل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، وأهل الفتح وأهل الهجرة وأهل النصرة، ولم يخالف فيه إلا من خالف المسلمين في أصل الدين، وطعن في القرآن وكفر الصحابة وسب أهل الفضل منهم وانتهك عرض الرسول ﷺ وذمته، برمي أمهات المؤمنين بالفحشاء واللعن، ولا يشك مؤمن في كفر من كانت هذه صفته، وقد رضي الله عن الصحابة وتاب عليهم، قال الله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)^(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)^(٣) وطاعة النبي ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد

(١) شرح صحيح البخاري، شمس الدين محمد بن زين الدين عمر بن شهاب الدين السفيّري الحلبي الشافعي، ج ٣٥ ، ص: ١١ .

(٢) سورة التوبة: ١١٧ .

(٣) سورة الحشر: ١٠ .

ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه^(١) ويقولون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم^(٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «مَا أَظُنُّ رَجُلًا يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ»^(٣). وقد قدم الله تعالى المهاجرين في كتابه الكريم حين الذكر لهم على الأنصار؛ لما لهم من السبق في الإسلام والنصرة والتضحية والمهجرة، وكما للمهاجرين شرف الهجرة فإن للأنصار شرف النصرة وقد جعل النبي ﷺ حب الأنصار من علامات الإيمان، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(٤)، وعن البراء رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ - أو قال - قال النبي ﷺ: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ. فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»^(٥). وجميع الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم رضي الله عنهم، لهم الفضل في الجهاد في سبيل الله وحماية الدعوة الإسلامية وإيصال الدين الحق للعالمين، قال الشيخ الفوزان مؤصلاً المنهج القويم فيما شجر بين الصحابة من خلاف وغيره وواجب المسلمين تجاهه : ((ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونه وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل. ويمسكون عما شجر من الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه. والصحيح منه هم فيه معذرون إما مجتهدون مصيئون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعه محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته^(٦)). وحب الصحابة من أوجب الواجبات، ومن المحتمات أن يعرف لأهل الفضل فضلهم، والصحابة هم السابقون في هذا الفضل ولهم المنة على غيرهم، ومن الواجب تجاههم المحبة،

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣٦٧٣ (٨/٥). وانظر: صحيح

مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٦٥١ (٧/١٨٨).

(٢) العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، شرح: د. صالح بن فوزان الفوزان، الرياض: مكتبة المعارف، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ص: ١٨٤ - ١٨٧.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٠٤٩ (٦/٦٠). صحيح إسناده الألباني وقال: صحيح الإسناد مقطوع.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب علامة الإيمان حب الأنصار، حديث رقم: ١٧ (١٢/١).

(٥) انظر: صحيح البخاري- مناقب الأنصار- حب الأنصار، حديث رقم: ٣٧٨٣ (٥/٣٢).

(٦) العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، شرح: د. صالح بن فوزان الفوزان، الرياض: مكتبة المعارف، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ص: ١٩٥ - ٢٠١.

كما قال العلماء في أصول العقيدة، قال ابن زمنين: (وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ الْمَحَبَّةَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْ يَنْشُرَ مَحَاسِنَهُمْ وَفَضَائِلَهُمْ، وَيُمْسِكَ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمْ. وَقَدْ أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ثَنَاءً أَوْجَبَ التَّشْرِيفَ إِلَيْهِمْ بِمَحَبَّتِهِمْ وَالِدُّعَاءَ لَهُمْ)^(١)

رابعاً: محبة آل البيت ﷺ:

إن محبة آل البيت أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وفضلهم عظيم، وصنف فيها وفي فضلهم كثير من الأنام والأئمة الأعلام، قال السخاوي في مؤلفه (استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول ﷺ وذوي الشرف) :على أي لو مشيت في هذا المهيع، لجاء في عدة مجلدات، فيها الكفاية والمقنع، مع بيان السمين من الهزيل، والثابت المكين من المزلزل العليل، إذ جمع الأئمة في كل من علي والعباس، والسبطين رضي الله عنهما، تصانيف منتشرة في الناس، وكذا أفردت مناقب الزهراء رضي الله عنها، وغيرها ممن علا شرفاً وفخراً. لكن ليس غرض السائل إلا إجمال الفضائل، التي يندرج فيها من بعدهم، ويتهج بها من جعل ديدنه حب آل البيت وودهم، وقد أتيت من ذلك بما لم أقف عليه في ديوان، وقلدت ^(٢) المحب - محب الدين محمد بن جرير الطبري - في أشياء أضفتها إليه من غير بيان ^(٣). وجميل العبارة في هذا الكتاب، ما أرشد إليه المؤلف في عبارة وجيزة، عظيمة الدلالة ، أن يكون حب آل البيت لأخذ الفضائل، ومعرفة الشمائل، من أجل المحبة والتأسي بهم، لا من أجل بث الفرقة بين المسلمين، ونشر العصبية والبغضاء، فإن المعنى الحقيقي لمحبتهم، التأسي بهم والارتقاء بحبهم في الجنات، لما لهم من الفضل والشرف.

ومن أعلام أهل البيت الذين بقي بهم النسب الشريف علي بن أبي طالب ﷺ، ابن عم النبي ﷺ وربيته قبل الهجرة، وأمينه على ودائع أهل مكة، نام في فراشه فداءً ليلة الهجرة، وهاجر إلى المدينة بعد رد الودائع، وتزوج بابنة النبي ﷺ فاطمة بنت خديجة رضي الله عنهما، كان مجاهداً في سبيل الله وبرزت مواقفه عن غيره في أكثر من موقف على عهد النبي ﷺ كيوم بدر والخندق وخيبر، ولي خلافة المسلمين بعد مقتل عثمان ﷺ، وجرت في خلافته فتن عظيمة بين المسلمين لتوغل المنافقين والأعداء والضلال في صفوف المسلمين، في مؤامرات للقضاء على الإسلام ووحدة المسلمين، وقد ابتلي بالخوارج الذين أقسم حبا وصدقا بأنه سمع فيهم مقالة رسول الله ﷺ ووصفهم - حيث الحب حاجز عقدي عن الكذب في الدين - عن سويد^(٤) بن غفلة، عن علي ﷺ: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأن آخر من السماء أحب

(١) أصول السنة، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، الإمام أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين، (١/٢٣٢).

(٢) في كتابه: (ذخائر العقبي) . من تعليقات الحق.

(٣) استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول ﷺ وذوي الشرف، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسين محمد علي شكري، المدينة المنورة : دار الزمان، ط ١، ١٤٢٤هـ . ص: ١٩ .

(٤) سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي، يكنى أبا أمية أدرك الجاهلية ولم ير النبي ﷺ وكان شريكاً لعمر في الجاهلية، وكان أسن من عمر؛ لأنه ولد عام الفيل، وكان قد أدى الصدقة إلى مصدق النبي ﷺ، ثم قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ، ثم شهد القادسية ثم شهد مع علي رضي الله عنه

إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتَكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَيُخْرِجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثَ الْأَسْنَانِ، سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يَجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لَمْ تَقْتُلْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وكان قتله ونيله الشهادة ﷺ إحدى نتائج الفتن التي عصفت بالاجتمع المسلم آنذاك وانتهت بالصلح بين الحسن ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال ابن الأثير في الكامل: (وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي، وقيل اسم البرك الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولائهم ثم ذكروا أهل النهر^(٢) فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وكان من أهل مصر. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان، وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأتى ابن ملجم الكوفة^(٣) وذكر ابن الوردي في تاريخه أن ابن ملجم استعان بغيره ممن هو على شاكلته من الخوارج في الكوفة، قال: (واتفق مع ابن ملجم وردان من تيم الرباب، وشبيب من أشجع، ووثبوا على علي رضي الله عنه وقد خرج إلى الصلاة الغداة، فضربه شبيب فوق سيفه في الطاق فهرب شبيب ونجا، وضربه ابن ملجم في جبهته، وهرب وردان، فأمسك ابن ملجم وأحضر مكتوفاً بين يدي علي ﷺ. ودعا الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقال: أوصيكمما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما منها، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض. قلت: قال الإسفراييني في معالم الإسلام: روى عمار أن النبي ﷺ رأى علياً نائماً في بعض الغزوات على التراب فقال: ' ما لك يا أبا تراب '، ثم قال: ' ألا أحدثكم بأشقى الناس ؟ رجلين، قلنا: بلى، قال: أجثم ثمود^(٤) والذي يضربك بأعلى هذه - فوضع يده على قرنه - حتى تبتل منك

صفين. سكن الكوفة ومات بها في زمن الحجاج سنة إحدى وثمانين وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة. وقيل سبع وعشرين ومائة سنة رحمة الله عليه. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣١٨/١).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٦٩٣٠ (١٦/٩).

(٢) معركة النهروان : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج عام: ٣٨ هـ. انظر: (العبر في خير من غير) للذهبي (٣٢/١). والنهروان : هي كورة واسعة بين بغداد و واسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٢٥/٥).

(٣) الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، عناية: أبو صهيب الكرمي، الأردن: عمان، بيت الأفكار الدولية، ص: ٤٦٠.

(٤) أي: (أحيمر ثمود) تصغير أحمر وهو قدار بن سالف (الذي عقر الناقة) أي قتلها، وقيل أنه أحمر أشقر أزرق قصير. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٢٨/٣). و(أجثم ثمود) المقصود أي: ألطخ قومه بالأرض، وأسوأهم لسوء صنيعه. وأجثم من (جثم) الجيم

هذه وأخذ بلحيته. وفي رواية أنه قال لعلي: إنك لا تموت حتى تؤمر فإذا أمرت خضبت هذه من هذه، ثم قال ﷺ: يقتلك أشقى مراد^(١) ((٢)). وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين، والغلو في الأنبياء والصالحين، وأخبر أن من الهلكة الغلو في علي ﷺ محبة، أو البهت عليه بغضة، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال دعاني رسول الله ﷺ فقال: « إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته نصارى حتى أنزلوه بالمزمل الذي ليس به »، ألا وإنه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمل شتائي على أن يبهتني، ألا إني لست بنبي ولا يوحى إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم^(٣). أورد ابن كثير في البداية والنهاية الأثر الذي يجب أن يلزمه المسلم فيما حصل بين الصحابة، قال: (وسئل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقراً: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٤) وكذا قال غير واحد من السلف^(٥). وقال ابن كثير: (وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين، ولهذا قال الليث بن سعد: إن معاوية بويع له بإيليا بيعة الجماعة، ودخل الكوفة سنة أربعين، والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور أنه بويع له بإيليا في رمضان سنة أربعين، حين بلغ أهل الشام مقتل علي، ولكنه إنما دخل الكوفة بعد مصالحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وهو عام الجماعة^(٦)، وكما وردت أحاديث خاصة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة وفي المهاجرين خاصة أو الأنصار خاصة رضي الله عنهم أجمعين، وردت أحاديث في فضل علي ﷺ بلفظ الحب، من أشهرها:

والفاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجُمُعان: شخص الإنسان. وجَمَمَ، إذا لَطِيَ بالأرض. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥٠٥/١).

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم: ١٧٣ (١٠٦/١) عن زيد بن أسلم: أن أباسنان الدؤلي حدثه أنه عاد علياً رضي الله عنه في شكوة اشتكاها فقلت له: لقد تخوفنا عليك يا أبا الحسن في شكوك هذا، فقال: ولكني والله ما تخوفت على نفسي منه لأنني سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: (إنك ستضرب ضربة ههنا وضربة ههنا) وأشار إلى صدغيه (فيسيل دمها حتى يخضب حيثك ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود) وأصله في مسند الإمام أحمد بن حنبل: (قال رسول الله ﷺ لعلي يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي هذه - يعني قرنه - حتى تبل منه هذه يعني لحيته) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٢) تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ١٥٥.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم. حديث رقم: ١٣٧٧ (٤٦٩/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٤) سورة البقرة: ١٣٤.

(٥) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ج ٨، ص: ١٣٩.

(٦) المرجع السابق، ص: ١٣٩.

١- عَنْ الْمَسَاوِرِ الْحَمِيرِيِّ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: «دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: لَا يُحِبُّ عَلِيًّا مُنَافِقٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»^(١).

٢- عَنْ زُرِّ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢).

٣- عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ قَالَ لِي كَلِمَةً مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا»^(٣).

٤- عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي الرَّحْبَةِ: أَشَدُّ بِاللَّهِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ^(٤) يَقُولُ: «اللَّهُ وَلِيِّي، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ، فَهَذَا وَلِيَّهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانصِرْ مَنْ نَصَرَهُ». فَقَالَ سَعِيدٌ: قَامَ إِلَى جَنْبِي سِتَّةٌ. وَقَالَ حَارِثَةُ بْنُ مُضَرَّبٍ: قَامَ عِنْدِي سِتَّةٌ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ يَثِيعٍ: قَامَ عِنْدِي سِتَّةٌ. وَقَالَ عَمْرُو ذُو مَرٍّ: «أَحَبُّ مِنْ أَحْبِهِ. وَأَبْغَضُ مِنْ أَبْغَضِهِ»^(٥).

٥- عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ النَّاسِ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَقَدْ أُوتِيَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ، لِأَنَّ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، زَوْجِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ابْنَتَهُ وَوَلَدَتْ لَهُ، وَسَدُّ الْأَبْوَابِ إِلَّا بَابَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَعْطَاهُ الرَايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ^(٦).

ومحبة الحسن والحسين رضي الله عنهما المحبة الشرعية من دلائل محبة النبي صلى الله عليه وآله لأن الحب الصادق يجب ما يحب حبيبه إذا لم يجد ما يعارضه، وهذا من دلائل الإيمان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^(٧). وبوب الإمام البخاري بابا في مناقبهما: بَابُ مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ومن أحاديثه فيهما:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الْحَسَنَ.

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله -باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧١٧ (٦٣٥/٥). ضعفه الألباني.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق حديث رقم: ٢٤٩ (٦٠/١).

(٣) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الخصائص - باب ذكر ما خص به عليا من الدعاء، حديث رقم: ٨٤٨٢ (٤٦٣/٧).

(٤) غدير خم : قال الحازمي: خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة، به غدير عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا الوادي موصوف بكثرة الوحامة. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٨٩/٢) .

(٥) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الخصائص - باب التَّوَعُّبُ فِي حُبِّ عَلِيٍّ، حديث رقم: ٨٤٢٩ (٤٤٤/٧).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٤٧٩٧ (٤١٦/٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٧) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، باب فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما. حديث رقم: ١٤٣ (١٧٧/١). حسنه الألباني.

٢- عن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُولُ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

٣- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنُ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمَا فَأَحْبِبُهُمَا، أَوْ كَمَا قَالَ.

٤- عن البراء، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحْبِبْهُ.

٥- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ بِأَبِي شَبِيهٍ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهٍ بَعَلِي وَعَلِي يَضْحَكُ.

٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.

٧- عن شُعْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نُعْمٍ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَأَلَهُ، عَنْ الْمُحْرِمِ قَالَ شُعْبَةُ أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبَابَ فَقَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ، عَنْ الذُّبَابِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا.

وقد بوب الإمام مسلم في صحيحه بابا في فضلها ومن أحاديثه في فضلها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لَا يَكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِمُهُ حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنِقَاعَ ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خَبَاءَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ « أَتَمَّ لُكْعُ أَتَمَّ لُكْعُ ». يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنَّهُ تَغَسَّلَهُ وَتَلْبَسَهُ سَخَابًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحْبِبْهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ » ^(١).

ومنهج أهل السنة والجماعة محبة آل البيت ممن انتسب إلى بيت النبوة بحسب أو صهر أو نسب إحسانا وإسلاما، ثبوتنا شرعيا بنص أو وصاية، ومنهم فاطمة رضي الله عنها وعلي والحسن والحسين وحمزة والعباس رضي الله عنهم، وجعفر وأبنائه رضي الله عنهم، وأزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، عن عائشة رضي الله عنها: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ ^(٢) مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(٣)) ^(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن منهج أهل السنة في حب

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، حديث رقم: ٦٤٠٩ (١٢٩/٧).

(٢) المِرْطُ كساء من خَزْ أو صُوف أو كَتَان وقيل هو الثوب الأخضر وجمعه مِرْطُوطٌ. والمِرْطُ كل ثوب غير مَخِيط. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٩٩/٧) (مرط) الميم والراء والطاء أصل صحيح يدل على تحت الشيء أو تحته. وتمرط الشعر: تحت، ومرطؤه. والأمراط من السهام: الساقط قُدْذُهُ. والأمراط: الفرس لا شعر على أشاعره. والمِرْطَاء: ما بين الصدر إلى العانة من البطن، وهي أقل من ذلك شعرا. والمِرْطَى: سرعة العدو، كانه من سرعته يتمرط عنه شعره. وناقعة مِمْرَطة: سريعة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣١٢/٥)

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، حديث رقم: ٦٤١٤ (١٣٠/٧).

أهل البيت: (ويجبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم: (أذكرکم الله في أهل بيتي) ^(١). وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يجفون بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي) ^(٢). وقال: (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاي من بني هاشم) ^(٣). ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ومن أخصهن خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المثلثة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما التي قال فيها النبي ﷺ: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ^(٤). ويتبرءون من طريقة الروافض الذين ييغضون الصحابة ويسبونهم . ومن طريقة النواصب، الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة) ^(٥) فمنهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الواضح الذي يتقبله كل مسلم بقلب محب، وصدر منشرح، ويفرح بهذا الدين الذي يتوافق في نصوصه من الكتاب والسنة في تكامل وشمول، ولا يضرب بعضها ببعض كما في النصوص المكذوبة والروايات المدلسة والمدسوسة المعتمدة عند الروافض، والحق أنه لا يفرح مؤمن باقمام النبي ﷺ والكذب عليه، أو بسب أزواجه الأطهار وأبائهن الأخيار. بل كل مؤمن صادق يعرف أنهن أمهات المؤمنين المبرآت الصالحات، قال الشيخ صالح الفوزان في شرح السنة للبرهاري: (والمراد أمهاتهم في القدر والاحترام، وحرمة نكاحهن، بعد الرسول ﷺ وليس أمهاتهن في النسب، وإنما في القدر والاحترام، لهن حق الأمهات على المسلمين؛ لأنهن زوجات النبي ﷺ فتجب محبتهم واحترامهم، وعدم تنقص واحدة منهن، فإن هذا مذهب الرافضة الذين ينتقصون بعض أزواج النبي ﷺ وهذا فيه اتمام لله أنه اختار لنبية من لا تصلح له) ^(٦) وما يدل على دخول أزواجه في أهل بيته عليه السلام قول الله تعالى في الآيات التي بها خاطب نساء النبي ﷺ، فإنها ظاهرة الدلالة على أن زوجاته ﷺ داخلات في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(٧) فإن سياق الكلام معهن والأمر فيه لهن، وقال بدخولهن في ذلك جمع كبير من

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٧٨ (١٢٢/٧).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند بني هاشم - حديث العباس بن عبد المطلب، حديث رقم: ١٧٧٧ (٢٩٨/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ، حديث رقم: ٦٠٧٧ (٥٨/٧).

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأطعمة- باب الشريد، حديث رقم: ٥٤٧٤ (١٦٤/٤). وانظر: صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب في فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٦٤٥٢ (١٣٨/٧).

(٥) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ٣، ص: ١٥٤.

(٦) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري، شرح: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، القاهرة: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٣٠ هـ، ص: ٣٨٥.

(٧) سورة الأحزاب: ٣٣.

المفسرين وغيرهم، ورد في تفسير ابن كثير: (عن ابن عباس في قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وقال عكرمة: من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن كان المراد أنهم كن سبب التزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم.... وجهها أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت، فإن في بعض أسانيدنا نظرا، والله أعلم. ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: (وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)^(١) أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة^(٢) وقال القرطبي: (والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم)^(٣)

خامسا: الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان:

إن من أصول عقيدة المسلم، الولاء و البراء وهما يقومان على أصول الإيمان القلبي بالحب أو البغض وعلى أصول الإيمان القولي والعملي المصدق لما في القلب بالحديث والمعاملة. ومجمع ذلك وميزانه أن يكونا في الله سواء كان حب أهل الإيمان أو بغض أهل الشرك والكفر والنفاق، وهو من أفضل الأعمال ومن أوثق عرى الإيمان، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(٤). ويختلف الناس في هذا الأصل، كمالات ونقصانات، ولكل امرئ حال محددة في هذا الشأن حسب شخصه وعلمه وعمله وحسب مواقف الحياة المتعددة المتغيرة. أورد ابن رجب في فتح الباري عن حقيقة محبة الله ورسوله، فقال: (وذلك يستلزم محبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال، وكرهه ما يكرهه من ذلك، وكذلك من الأشخاص، ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحب والبغض، فمن أحبه الله أكرمه وعامله بالعدل والفضل، ومن أبغضه الله أهانه بالعدل)^(٥) فالموافقة أصل في صراحة الحب وحقيقته، ولا تتم محبة

(١) سورة الأحزاب: ٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٤١٠ - ٤١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ، ج ١٤، ص: ١٨٣ .

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، حديث رقم: ٤٦٠١ (٣٢٧/٤). ضعفه الألباني. عن البراء بن عازب، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّ عَرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟ قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: حَسَنَةً، وَمَا هِيَ بِهَا؟ قَالُوا: الرِّكَاعَةُ، قَالَ: حَسَنَةً، وَمَا هِيَ بِهَا؟ قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟ قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟ قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ. انظر مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث البراء بن عازب، حديث رقم: ١٨٥٢٤ (٤٨٨/٣٠) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : حديث حسن بشواهده.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص: ٥١ .

الله إلا بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(١). وقد حمى الله أهل الإيمان من محبة مَنْ قد يغير عليهم دينهم الحق، ومن ذلك محبة الوالد لولده، فالولد الصالح نعمة وفضل من الله، والولد الكافر عدو وفتنة، قال الله تعالى: (وَأَمَّا أَلْعَلُّمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) ١١٤ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)^(٢) وقد أثبت البخاري تفسيرها المأثور بالسنة عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديثه عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ (كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ وَكَانَ كَافِرًا، فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا: أَنْ يَحْمِلَهُمَا حَبَهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا لِقَوْلِهِ أَقْنَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً — وَأَقْرَبَ رُحْمًا: هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالْأَوَّلِ الَّذِي قُتِلَ خَضِرٌ)^(٣). ومن أعظم ما ابتلي به المسلمون في عهدهم الأول وحتى عصرنا الحاضر، أهل النفاق الذين يتغلغلون في الوسط المسلم باسم الإسلام، وهم قد أضمرُوا العداوة في نفوسهم للإسلام وأهله، وانطبق عليهم قول الله عز وجل: (يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَةَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ١١٥ هَتَأْتُمْ أُوْلَاءَ تَحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)^(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يُطْلَعُونَهُمْ عَلَى سِرَائِرِهِمْ وَمَا يَضْمُرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنافِقُونَ بِجَهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالًا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مَخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضْرَهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيُودِدُونَ مَا يُعْنَتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَشْقُقُ عَلَيْهِمْ)^(٥) وحيث حرم الله هذه المحبة بالنهي عنها، أوضح للمؤمنين ما لم يروه من حال المنافقين وغيرهم، مما يضمرونه من العداوة والبغضاء لأهل الإسلام، وأن المحبة الصادقة تكون في المساواة أو المبادلة للحب اعتقاداً وقولاً وعملاً، والقياس هنا لهذا الحب في قوله تعالى: (هَتَأْتُمْ أُوْلَاءَ تَحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ) أورد البغوي في تفسيره: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم. وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، فنهاهم الله تعالى عن ذلك)^(٦)

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: ٤٦٨٣ (٤/٣٥٤). صححه الألباني.

(٢) سورة الكهف: ٨٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الكهف - باب قوله (فلما بلغا مجمعا بينهما نسيا حوثهما فاتخذ سبيله في البحر)، حديث رقم: ٤٧٢٦ (٦/٨٩).

(٤) سورة آل عمران: ١١٨ - ١١٩.

(٥) القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٠٦.

(٦) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص: ٩٥.

الولاء و البراء جزء من عقيدة المسلم ولأهميته في الإسلام فقد جاءت الآيات صريحة بالنهي عن ولاية المشركين واليهود والنصارى والمنافقين والأمر بالبراءة منهم وأن هؤلاء بعضهم أولياء بعض، وذلك في كثير من السور كسورة التوبة والأنعام المائدة والمنتحنة، وأحكام الولاء والبراء واضحة في عمومها، ولكنها من أصعب الأحكام حين تعلقها بالأعيان أو علاقات الساسة من القادة والوزراء، فإن الأمر فيها يعود على ما يحمله القلب من حب أو بغض، وإلى أمور تخفى فيها المصالح والمفاسد لما لها من سرية تهم شؤون الأمة لا يطلع عليها غالبا إلا الخاصة، والحكم فيها يرجع إلى ولاية الأمر من العلماء والسلطين. قال الله تعالى: (وَالْمُنَافِقَتُ الْمُنْهَفِقُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) ^(١) وقال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) ^(٢) وقال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ^(٣) النهي هنا متعلق بعلاقات المودة والمحبة وهي قلبية لها توابع قولية وعملية، ولكن القرينة المسببة للنهي واحدة وهي الكفر بالحق وعدم الإيمان، قال صاحب أضواء البيان: (نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بِأَنَّ التَّصَافَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ مَانِعٌ مِنْ مُوَادَّةِ الْكُفَّارِ وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... الآية) ^(٤) وما يجب أن يعلم أن الدين لله، وولاية المؤمن يجب أن تكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا ما أجمعت عليه الأدلة من الكتاب والسنة. والناس في الولاء والبراء، محبة وبغضا على أقسام أوضحها الشيخ الدكتور صالح بن فوزان ^(٥) وهذه الأقسام هي:

١) من يجب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخالص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ؛ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة.

٢) من يبغض ويعادي بغضا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخالص من الكفار والمشركون والمنافقين المرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم.

(١) سورة التوبة: ٦٧.

(٢) سورة المنتحنة: ١.

(٣) سورة التوبة: ٢٣.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢.

(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، ج ١، ص: ٢٩٦.

٣) من يحب من وجه ويبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين؛ يحبون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك. ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم؛ فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يُبغضون بغضا خالصا ويتبرأ منهم؛ كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبُّون ويوالون حبا وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ «وَمَا أَعَدَدْتُ لِّلَّسَّاعَةِ؟» قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ. وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ»^(١). ولقد أحب النبي ﷺ أن يرى إخوانه الذين يأتون من بعده، وقد تميزوا بعلامات الوضوء في الوجه واليدين والرجلين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَأَحَقُّونَ. وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ نَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٌ ذُهُمٌ بِهِمْ. أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. أَلَا لِيَذَادَنَّ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا»^(٢). وتبقى المحبة الحقة مرهونة بالاتباع، ويكون بها الاجتماع في الدنيا على الخير والهدى والدين الحق، ويوم القيامة في الجنة ونعيمها، ومن أشد موانع المحبة واللقاء في الجنة الابتداع في الدين أو التحريف أو التبديل. ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبوب البخاري في صحيحه، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، عن أنس رضي الله عنه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قالت عائشة - أو بعض أزواجه - إنا لنكره الموت قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب حديث رقم: ٦٨٨١ (٤٢/٨).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء، حديث رقم: ٦٠٧ (١٥٠/١).

وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب لقاء الله. وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره لقاء الله»^(١).

سادسا: الوسوسة في العقيدة:

الوسوسة هي حديث النفس للإنسان من الأفكار والتدابير التي تكون بين الخير والشر، وهي بمنزلة الحادثة الكائنة بين اثنين، والاستطراد معها يخرج الإنسان عن طبيعته وواقعه إلى عالم الخيال والوهم والهم، حتى يقع في حبال الخبال والجنون، أما طردها وعدم الاسترسال معها وصرفها بإبدالها بالأذكار الشرعية أو الأعمال العبادية أو الأعمال البدنية؛ فإنه أسلم للإنسان في صحته وعقله، والصحة النفسية عليها مدار القبول الشرعي والقبول الاجتماعي، فإن المجنون قد رفع عنه القلم والتكليف حتى يرجع، ولكل إنسان قرينه من الجن (روى مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَيَّايَ، لَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمْتُ»^(٢)، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ». الرواية بفتح الميم من "فَأَسْلَمْتُ" وَمَنْ رواه "فَأَسْلَمْتُ" برفع الميم - فَقَدْ حَرَفَ لَفْظَهُ. ومعنى "فَأَسْلَمْتُ"، أي: فَاسْتَسْلَمْتُ وَانْقَادَ لِي، فِي أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ، وَلِهَذَا قَالَ: "فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ صَارَ مُؤْمِنًا - فَقَدْ حَرَفَ مَعْنَاهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا^(٣) وَمَنْ أخطَر ما يتعرض له المسلم ما يضر بعقيدته من الوسوسة الشيطانية، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدًا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ - يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ - لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ. قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: رَدَّ أَمْرَهُ مَكَانَ رَدِّ كَيْدِهِ»^(٤). ومن واجب المسلم مدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان. هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقاق- باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم: ٦٥٠٧ (١٠٦/٨).

(٢) قال النووي في المنهاج: ((فَأَسْلَمْتُ) بَرَفْعِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا ، وَهُمَا رَوَايَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فَمَنْ رَفَعَ قَالَ : مَعْنَاهُ : أَسْلَمْتُ أَنَا مِنْ شَرِّهِ وَفَتْنِهِ ، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ : إِنَّ الْقَرِينَ أَسْلَمَ ، مِنَ الْإِسْلَامِ وَصَارَ مُؤْمِنًا لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَرْجَحِ مِنْهُمَا فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الرَّفْعُ ، وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَّاضُ ، الْفَتْحُ وَهُوَ الْمُخْتَارُ ، لِقَوْلِهِ : " فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ " ، وَاخْتَلَفُوا عَلَى رَوَايَةِ الْفَتْحِ ، قِيلَ : أَسْلَمْتُ بِمَعْنَى اسْتَسْلَمْتُ وَانْقَادَ ، وَقَدْ جَاءَ هَكَذَا فِي غَيْرِ صَحِيحٍ مُسْلِمٍ (فَاسْتَسْلَمْتُ) وَقِيلَ : مَعْنَاهُ صَارَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ ، قَالَ الْقَاضِي : وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عَصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : إِشَارَةٌ إِلَى التَّخْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَستِهِ وَإِغْوَائِهِ ، فَأَعْلَمْنَا بِأَنَّهُ مَعْنَى لِحْتَرِزَ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمَّاكُنِ) انظر: المنهاج للنووي (١٥٧/١٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى الدمشقي، تحقيق: أحمد شاکر، الرياض: الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨ هـ، ص: ٣٨٣.

(٤) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب في رد الوسوسة، حديث رقم: ٥١١٤ (٤٩٠/٤). وانظر مسند الإمام أحمد- مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣١٦١ (٢٤٨/٥). صححه الألباني. وتعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

والتابعين لهم بإحسان، أما الاسترسال معها يوقع الشك والوهم ويحكم الشيطان حباله على من تسلط عليه، ويخرجه بها من التوحيد إلى الشرك، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: "ذلك صريح الإيمان»^(١) فمضى حكم المسلم العلم على قلبه، ولم يتحدث بها كانت هذه الوسوسة من محض الإيمان، أما إذا تحدث بها وأتبعها التصديق ومحاولات التحليل العقلي، فقد خرج بها عن العلم واليقين إلى الخيال والوهم والشك، وهنا وجب عليه الرجوع والعلاج، ومن أهمها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستغفار والوضوء والصلاة والذكر والدعاء بما يذكره التوحيد ويؤكد الإيمان، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟ فيقول: الله، فيقول: فمن خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا حس أحدكم بذلك فليقل آمنت بالله وبرسوله"^(٢). ومن مداخل الشيطان على الإنسان في العقيدة زعزعة الإخلاص بالتشكيك في صرفه العبادة لله وإيهاه بالرياء والسمعة وهنا يجب على المسلم العلم بحقيقة الرياء وحقيقة الإخلاص، وكل منهما لا يدركه أحد أكثر من صاحبه، فإن الإخلاص لله هو أساس قبول العبادة، وهو حقيقتها، قال الله تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ^(٣) ومن ثمراته محبة الله للعبد، ومحبة الناس له والثناء عليه بالخير، عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل يحبه الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(٤). والحذر من الرياء علامة الإخلاص لله تعالى، وهناك فرق بين الرياء وبشرى المؤمن، فإذا جاءت هذه البشرى بالثناء من غير طلب وكانت حبا من الناس غلب، فهي من حقيقة الإخلاص، أما إذا سعى المسلم بأعماله طلبا لها فهي حقيقة الرياء، وكذلك ترك المسلم الأعمال الصالحة من أجل الناس فإنه من مداخل الشيطان ووساوسه الذي يجب علاجه، بالتمحيص للقلب والاتجاه به إلى الإيمان والعمل الصالح دون النظر إلى ما عند الناس من الثناء أو غيره وذلك من الشرك الأصغر عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها. حديث رقم: ٣٥٧ (١/٨٣).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان - كتاب الإيمان - باب التكليف، حديث رقم: ١٥٠ (١/٣٦٢). قال شعيب الأرناؤوط على صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٣) سورة الزمر: ١١ - ١٢.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي ذر رضي الله عنه، حديث رقم: ٢١٣٨٠ (٣٥/٣٠٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

جَزَاءً^(١). فإذا رد المسلم الوسوسة بالإيمان الصادق، واجتهد في ذلك فإنها تصبح لا شيء، ويسلم القلب من الريب، ويطمئن بالإيمان ويفرح المؤمن باليقين. ومما يستعين به المؤمن في عبادته، ويستعين به في حياته، آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والمعوذتان، عن عبد الله الأسلمي رضي الله عنه - هو ابن أنيس - أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال: "قل". فلم أدر ما أقول، ثم قال لي: "قل". قلت: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" ثم قال لي: "قل". قلت: "أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" حتى فرغت منها، ثم قال لي: "قل". قلت: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: "هكذا فتعوذ ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط"^(٢).

(١) انظر مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم حديث رقم: ٢٣٦٣٠ (٣٩/٣٩). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن.

(٢) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الاستعاذة - باب ذكر فضل ما يتعوذ به المتعوذون، حديث رقم: ٧٧٩٦ (١٩٨/٧).

المطلب الثاني: أثر المحبة في العبادات

قال الله تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ^(١) هذا الأمر من الله تعالى يبين فيه ما عليه أصل العبادة في جميع الشرائع وإن اختلفت التشريعات، وهو توحيد الألوهية، بصرف العبادة له دون سواه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيُّ هُوَ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، وَحُبُّ اللَّهِ أَصْلُ التَّوْحِيدِ الْعَمَلِيِّ، وَهُوَ أَصْلُ التَّأَلِيهِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ أَصْلَهَا أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ مَعَ أَكْمَلِ أَنْوَاعِ الْخُضُوعِ، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ) ^(٢) فإن العبد احب لله تعالى هو القائم بالعبادة على الوجه المشروع وهو المعنى بتعريف العبادة أنها كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والقربى لله بهذه الأعمال، موصلة لمحبهه، وتعظم هذه الحبة بأداء الفرائض، وتكبر هذه العظمة بأداء النوافل، حتى يبلغ العابد درجة عالية في العبودية ودرجة كبيرة في المحبة ويصبح في غاية الخضوع لله تعالى فلا يقدم على عمل بسمعه وبصره ويده ورجله إلا وهو متوافق مع مراد الله ورضاه، فاستحق الحبة العظيمة من الله وأصبح أهلا في المسألة والاستعاذة بتحقيق مطلبه ورجاه واستجابة دعاه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا. وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لِأُعِذَنَّهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» ^(٣) وحقيقة الأعمال العبادية التي يقوم بها العبد تنعقد فيها المحبة، عن طريقين:

١) المداومة عليها: عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنَا يُدْخِلُ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ» ^(٤).

٢) النصح فيها: عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أَحَبُّ مَا تَعْبُدُنِي بِهِ عَبْدِي إِلَيَّ، النَّصْحُ لِي» ^(٥). وحقيقة النصح لله كما قرره العلماء هو الإخلاص في الطاعة، والاجتهاد في كمال أدائها، قال ابن حجر: (وقال المازري النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته، يقال نصح الشيء إذا

(١) سورة النساء: ٣٧.

(٢) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٥٤.

(٣) سبق تخريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٦٤٦٤ (٩٨/٨).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢١٩١ (٥٢٩/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جدا.

خلص، ونصح له القول إذا أخلصه له ، أو مشتقة من النصح وهي: الخياطة المنصحة ، وهي الإبرة ، والمعنى أنه يلم شعث أخية بالنصح كما تلم المنصحة ، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه، قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، وهي من وجيز الكلام بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة^(١) أي أن النصح كلمة جامعة يقوم عليها الدين لأن الدين النصيحة، والدين أركانه العامة ثلاثة: الإسلام و الإيمان والإحسان، وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: (وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث^(٢) جبريل، وسمى ذلك كله ديناً، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوها، وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك الحرّمات والمكروهات على هذا الوجه أيضاً^(٣)) ولقد اقترنت العبادة في مصطلح الفقهاء بأداء أركان الإسلام الخمسة ومتعلقاتها. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)^(٤) وفي تعليق ابن حجر على ترتيب الأبواب في تصنيف الجامع الصحيح للبخاري وبقوله يتقرر ترتيب أركان الإسلام، عند العلماء المصنفين اعتماداً على تصنيف أهل الحديث ومن ذلك أن الإيمان بالنطق بالشهادتين أولها، وعليه المعتمد في أفعال العباد بعده، فقال: (وكان الإيمان أشرف العلوم فعقبه بكتاب العلم وبعد العلم يكون العمل، وأفضل الأعمال البدنية الصلاة ولا يتوصل إليها إلا بالطهارة فقال كتاب الطهارة فذكر أنواعها وأجناسها وما يصنع من لم يجد ماء ولا تراباً إلى غير ذلك مما يشترك فيه الرجال والنساء وما تنفرد به النساء، ثم كتاب الصلاة وأنواعها ثم كتاب الزكاة على ترتيب ما جاء في حديث بني الإسلام على خمس، واختلفت النسخ في الصوم والحج أيهما قبل الآخر وكذا اختلفت الرواية في الأحاديث، وترجم عن الحج بكتاب المناسك ليعم الحج والعمرة وما يتعلق بهما، وكان في الغالب من يحج يجتاز بالمدينة الشريفة فذكر ما يتعلق بزيارة النبي ﷺ وما يتعلق بحرم المدينة، قلت ظهر لي أن يقال في تعقيب الزكاة بالحج أن الأعمال لما كانت بدنية محضة ومالية محضة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ١٣٨.

(٢) الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو عند مسلم في صحيحه وأصحاب السنن الأربعة وأحمد في مسنده. انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم: ١٠٢ (٢٨/١).

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ٧٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب دعاؤكم إيمانكم، حديث رقم: ٨ (١١/١).

وبدنية مالية معا رتبها كذلك، فذكر الصلاة ثم الزكاة ثم الحج، ولما كان الصيام هو الركن الخامس المذكور في حديث ابن عمر بنى الإسلام على خمس عقب بذكره، وإنما أخره لأنه من التروك والتترك وإن كان عملاً أيضاً لكنه عمل النفس لا عمل الجسد فلهذا أخره وإلا لو كان اعتمد على الترتيب الذي في حديث بن عمر لقدم الصيام على الحج؛ لأن بن عمر أنكر على من روى عنه الحديث بتقديم الحج على الصيام وهو وإن كان ورد عن ابن عمر من طريق أخرى كذلك؛ فذاك محمول على أن الراوي روى عنه بالمعنى ولم يبلغه فيه عن ذلك والله أعلم^(١) وسوف أعرض هنا، ما ورد في العبادات من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب لكي يتضح أثر المحبة فيها، وحيث أركان الإسلام جامعة لأنواع العبادات فإنني سأفصل فيها وفق ترتيبها العلمي المعتبر في هذا المطلب كما يلي:

الركن الأول: الشهادتان:

وهما الشهادة بتوحيد الله والشهادة برسالة نبينا محمد ﷺ؛ فإن جميع العبادات من شروطها الإسلام، ولا يتحقق إلا بالنطق بالشهادتين والإيمان بهما، والنطق بالشهادتين من عبادات اللسان الواجبة في الذكر والصلاة أثناء الجلوس للتشهد، وهو أول واجب على المكلف، ومن محبة المسلم لدينه إعلان الشهادتين، حيث هي حقيقة الدين، وقد جعلت من شعار الدين الظاهرة كما في الأذان، وعند الدخول في الإسلام، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)^(٢). قال النووي في شرح صحيح مسلم: (وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُحْكَمُ بَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يُخْلَدُ فِي النَّارِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ اعْتِقَادًا جَازِمًا خَالِيًا مِنَ الشُّكُوكِ، وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَصْلًا إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ النُّطْقِ لَخَلَلٍ فِي لِسَانِهِ أَوْ لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِمُعَاجَلَةِ الْمَنِيَّةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا)^(٣) وأصل قبول الأعمال الإسلام، وأن الكافر لا يقبل منه العمل إلا إذا أسلم، فإنه أسلم على ما أسلف من أعمال الخير، والإسلام يجب ما قبله من السيئات، أما من مات كافراً فلا ينفعه عمله، قال الله تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)^(٤) وقال الله

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٤٧١.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم: ٢٥(١٤/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: ١٣٣(٣٨/١).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١، ١٤٩.

(٤) سورة الفرقان: ٢٣.

تعالى في حق المنافقين: (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْتَهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ)^(١) ومن دلائل محبة الله تعالى للعبد، ومحبة العبد لله تعالى، أن يوفق لتوحيد الله وإخلاص العبادة له، وهي عقيدة الأنبياء والمرسلين ومطلبهم وسؤلهم، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ. قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَبْدَ الْبَشَرِ»^(٢). والمحبة المبنية على صحة العقيدة والعمل الصالح هي مسلك عباد الله الصالحين، وطريقة أهل السنة والجماعة في التقرب لرب العالمين.

الركن الثاني: الصلاة

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام لحديث ابن عمر رضي الله عنه فيما بني عليه الإسلام الذي ذكرناه آنفا في التوحيد ولغيره من أدلة القرآن والسنة، قال الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)^(٣) وهي عمود الدين، وقد أحبها النبي صلى الله عليه وسلم وأقامها خير قيام امتثالاً لأمر ربه حيث أمر بها، وفرضت عليه في السماء، في مقام العلو والقرب والإعجاز، كما في حديث الإسراء والمعراج، وهي سنة الأنبياء من قبله، وإن اختلفت صفاتها في شرائعهم إلا أنه يجمعها عقيدة الوحداية ووصف الدعاء، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم مكانتها للأمة ومقامها في نفسه، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «حُبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءِ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤). قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: (وأما الطيب فكأنه يحبه لكونه يناجي الملائكة وهم يحبون الطيب وأيضا هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشد اعتدالا من حيث المزاج وأكمل خلقة وقوله قرّة عيني في الصلاة إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى أنه بمناجاته تقرر عيناه وليس له قريرة العين فيما سواه فمحبتته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى كما قال لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن أو كما قال^(٥) وقال السيوطي في شرحه لسنن النسائي: (وفي هذا الحديث إشارة إلى وفائه صلى الله عليه وسلم بأصلي الدين، وهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، وهما كمالاً قوته النظرية والعملية، فإن

(١) سورة التوبة: ٥٤.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب جامع الدعوات، حديث رقم: ٣٤٩٠ (٥٢٢/٥). تحقيق الألباني: ضعيف - إلا قوله في داود: " كان أعبد البشر " فهو عند مسلم.

(٣) سورة النور: ٥٦.

(٤) انظر: سنن النسائي - عشرة النساء - باب حب النساء، حديث رقم: ٨٨٣٦ (١٤٩/٨). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٢٩٤ (٣٠٧/١٩). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٥) حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١٤٠٦ هـ، ج ٧، ص: ٦٦ - ٦٧.

كمال الأولى بمعرفة الله والتعظيم دليل عليها، لأنه لا يتحقق بدونها، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال ﷺ المصلي يناجي ربه، نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها، وكمال الثانية في الشفقة وحسن المعاملة مع الخلق، وأولى الخلق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس نفسه وبدنه، كما قال ﷺ: ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، والطيب أحص الذات بالنفس، ومباشرة النساء ألد الأشياء بالنسبة إلى البدن، مع ما يتضمن من حفظ الصحة وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود^(١) وكما ظهر أثر المحبة فيها ككل من قوله ﷺ (وجعلت قرّة عيني في الصلاة)، فإن الاستعداد لها، والقيام بها، أعمال فاضلة، تنبعث بها المحبة في القرب من الله تعالى، والمرء في صلاة مادام ينتظر الصلاة، والصلاة الدعاء، وقد أوضحت نصوص الكتاب والسنة أهمية الصلاة وفضلها بلفظ الحب، وقد قسمت هذا البيان في ثلاث مراحل يتنقل المسلم بينها لأداء الصلاة مرحلة الاستعداد ومرحلة الأداء ومرحلة الفراغ، وهي وفق ما يلي:

أولاً: مرحلة الاستعداد للصلاة: وتشمل الطهارة والوقت والمكان:

١) محبة الله للمتطهرين:

قال الله تعالى: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ)^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي قال: «نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } . قَالَ: كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِيهِمْ »^(٣). وعن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، أَنَّ هَذِهِ آيَةَ نَزَلَتْ: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ }، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ. فَمَا طُهِرُكُمْ؟» قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَنَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ. قَالَ: «فَهُوَ ذَاكَ فَعَلَيْكُمْوه»^(٤).

٢) محبة التيامن في الطهارة:

التيامن في الطهارة هو البدء باليمين من الأعضاء في الوضوء ثم الشمال، وفي الغسل البدء بالشق الأيمن ثم الأيسر، عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجَّلِهِ وَنَعْلِهِ»^(٥). قَالَ مُسْلِمٌ: وَسِوَاكَه، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ.

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ٧، ص: ٦٢.

(٢) سورة التوبة: ١٠٨.

(٣) انظر: سنن أبي داود- كتاب الطهارة- باب في الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٤٤ (١٦/١). وانظر: سنن الترمذي- كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ- باب ومن سورة التوبة، حديث رقم: ٣١٠٠ (٢٨٠/٥). صححه الألباني.

(٤) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب الطهارة وسننها- باب الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٣٥٥ (٣٨٧/١). صححه الألباني.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصلاة - باب التيمن في دخول المسجد وغيره، حديث رقم: ٤٢٥ (٩٢/١).

٣) محبة الستر واليسر في الغسل:

عن عطاء عن يعلى: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبِرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ»^(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَمِّهِ عِمْرَانَ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّهِ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا اسْتَحِيضَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: إِنِّي اسْتَحِيضْتُ حِيضَةً مُنْكَرَةً شَدِيدَةً. قَالَ لَهَا: «اِحْتَشِي كُرْسُفًا» قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ. إِنِّي أَتُجُّ ثَجًّا^(٢). قَالَ: « تَلْجَمِي وَتَحِيضِي فِي كُلِّ شَهْرٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ اغْتَسِلِي غُسْلًا، فَصَلِّيْ وَصُومِي ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ، أَوْ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ. وَأَخْرِي الظُّهْرَ وَقَدِّمِي الْعَصْرَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَأَخْرِي الْمَغْرِبَ وَعَجِّلِي الْعِشَاءَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَهَذَا أَحَبُّ الْأَمْرَيْنِ إِلَيَّ»^(٣).

٤) محبة الوضوء تعليما وعلامات:

يؤدي المسلم الصلاة في فرضها ونفلها عبادة يرجو قبولها، والقيام بها على الوجه المشروع لا يتم إلا على أصل الطهارة المعنوية من الشرك في القلب والقول والعمل، وعلى أصل الطهارة المادية في البدن والثوب والمكان، وتعلم الوضوء و تعليمه من الواجبات المتحتمات المعرفة بضرورات الدين، لقيام هذا الركن العظيم عليها، وحرص الصحابة الكرام رضي الله عنهم على تعلمه وتعليمه، كما كان النبي ﷺ يفعل، عن محمد^(٤) بن عبد الله بن أبي مريم قال: دخلت على ابن دارة مولى عثمان، قال: فسمعني أمضض قال: فقال: يا محمد، قال: قلت لبيك، قال: ألا أخبرك عن وضوء رسول الله ﷺ، قال: رأيت عثمان ؓ وهو بالمقاعد دعا بوضوء فمضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ومسح برأسه ثلاثاً وغسل قدميه، ثم قال: من أحب أن ينظر إلى وضوء رسول الله ﷺ، فهذا وضوء رسول الله ﷺ»^(٥). بل أثر الوضوء علامة يعرف بها النبي ﷺ يوم القيامة إخوانه الذين آمنوا به من بعده ولم يروه، فكان يود أن يراهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ

(١) انظر: سنن أبي داود- كتاب الحمام- باب النهي عن التعري، حديث رقم: ٤٠١٤ (٧٠/٤). صححه الألباني.

(٢) (ثج) الثاء والجيم أصل واحد، وهو صب الشيء. يقال ثَجَّ الماء إذا صَبَّه؛ وماءٌ ثَجَّاجٌ أي صَبَّابٌ.. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٧/١)

(٣) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب الطهارة وسننها- باب ما جاء في البكر إذا ابتدئت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنسيتها، حديث رقم: ٦٢٧ (١/٦٦٠). وانظر: مسند الإمام أحمد- من مسند القبائل، حديث رقم: ٢٧١٤٤ (١٢١/٤٥). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٤) محمد بن عبد الله بن أبي مريم المدني الخزاعي، مولاهم، ويُقال مولى ثقيف، روى عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، روى عنه يحيى القطان وصفوان بن عيسى ومالك بن أنس. انظر: الثقات لابن حبان (٧/٤١٩) والجرح والتعديل لابن المنذر (٧/٣٠٦) و التاريخ الكبير للبخاري (١/١٣٩) و تعجيل المنفعة لابن حجر (٢/١٨٩) و تهذيب الكمال للمزي (٢٧/١٠٢).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٤٣٦ (١/٤٩٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

لَا حَقُونَ. وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٌ دُهِمٌ بِهِمْ. أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُّ فَأَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»^(١). ومن عظمة الإسلام أن جعل الطهارة شرطاً لمناجاة الله الرب العظيم في الصلاة، ويسر أمرها عند فقد الماء تيمماً بالصعيد الطيب في الوضوء والتمرغ للغسل، وجعل جلد الميتة طاهراً حلاً بدبغه، لا ينجس الماء به في قربه، ومن يسر الإسلام أن شرع المسح على الخفين حال الإقامة والسفر، يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام لباليهن للمسافر، عن المغيرة بن شعبة قال: «دعاني رسول الله ﷺ بماء، فأتيته خباء فإذا فيه امرأة أعرابية قال: فقلت: إن هذا رسول الله ﷺ وهو يريد ماء يتوضأ فهل عندك من ماء؟ قالت: بأبي وأمي رسول الله ﷺ فوالله ما تظل السماء ولا تقل الأرض روحاً أحب إليّ من روحه ولا أعز، ولكن هذه القرية مسك ميتة ولا أحب أنجس به رسول الله ﷺ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إليها فإن كانت دبغتها فهي طهورها، قال: فرجعت إليها فذكرت ذلك لها، فقالت: أي والله لقد دبغتها، فأتيته بماء منها وعليه يومئذ جبة شامية وعليه خفان وخمار قال: فأدخل يديه من تحت الجبة قال: من ضيق كميتها قال: فتوضأ فمسح على الخمار والخفين»^(٢).

٥) محبة النبي ﷺ لاستقبال الكعبة في الصلاة:

استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، قال الله تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)^(٣) وكان النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة يصلي إلى بيت المقدس، وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة فاستجاب الله رغبته، وأمره أن يتوجه إلى الكعبة، وعن البراء ﷺ قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) (البقرة: ١٤٤) فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ»^(٤).

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الطهارة-باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم: ٦٠٧ (١/١٥٠).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٢٢٥ (٣٠/١٦٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) سورة البقرة: ١٥٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب أخبار الآحاد-باب ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، حديث رقم: ٧٢٥٢ (٨٧/٩).

٦) محبة تسوية الصفوف للصلاة وإتمام الأول:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيَكُمْ كَأَنَّهُا أَذْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأَانَا حَلَقًا فَقَالَ « مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ « يُتْمُونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ »^(١).

تسوية الصفوف من تمام الصلاة، وهي دليل الألفة والاتفاق والوحدة، وهي نظام وانتظام لإقامة الصلاة، أمر بها النبي ﷺ، وقام بها بنفسه يسوي الصفوف عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلَنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »^(٢) قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا. ووصل الصفوف من الأعمال المحبة إلى الله، والصف الأول أحب الصفوف وأفضلها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهْمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا)^(٣) وميامن الصفوف أحب من شمانلها، عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ^(٤). وقد ورد في أحاديث ضعيفة إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف^(٥) وقد أمر الشارع بحفظ كرامة الصلاة، وخشوع المصلي في مناجاته لربه؛ فحذر من المرور بين يدي المصلي، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ^(٦) أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي جُهَيْمٍ^(٧) يَسْأَلُهُ مَاذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَارِّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي فَقَالَ أَبُو جُهَيْمٍ قَالَ

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة- باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد في الصلاة ورفعها وإتمام الصفوف الأول، حديث رقم: ٩٩٦ (٢٩/٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة- باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمساابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريرهم من الإمام، حديث رقم: ١٠٠٠ (٣٠/٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأذان- باب الاستهام في الأذان، حديث رقم: ٦١٥ (١٢٦/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة- باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمساابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريرهم من الإمام، حديث رقم: ١٠٠٩ (٣١/٢).

(٤) انظر: سنن النسائي-كتاب الإمامة- باب المكان الذي يستحب من الصف، حديث رقم: ٨٩٨ (٤٣٤/١). صححه الألباني.

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب من يستحي أن يلي الإمام في الصلاة، حديث رقم: ٦٧٦ (٢٥٣/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب فضل ميمنة الصف حديث رقم: ١٠٠٥ (١٣٧/٢). ضعفه الألباني. وحسن، بلفظ " على الذين يصلون الصفوف ".

(٦) بسر بن سعيد الإمام القدوة المدني العابد الزاهد، مولى بن الحضرمي، ثقة جليل، روى عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وزيد بن ثابت وزيد بن خالد الجهني وابن عمر، وروى عنه سالم أبو النضر ويزيد بن خصيفة وبكير بن الأشج، مات بالمدينة سنة (١٠٠) وهو ابن (٧٨) وقيل مات سنة (١٠١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٨٣/١) والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (١١٨/١) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٩٤).

(٧) أبو جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ أَبُو النَّضْرِ لَا أَدْرِي أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً)^(١).

٧) محبة الصلاة على وقتها:

قال الله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)^(٢) قال أهل التفسير^(٣) في تفسير موقوفات، عدة معان، أي: مفروضا، قال به السدي وغيره، وموقوفات أي: واجبا، قال به مجاهد وغيره، وعن زيد بن أسلم^(٤) قال: منجما، كلما مضى نجم جاء نجم آخر. كلما مضى وقت جاء وقت آخر. والصلاة على وقتها المفروض واجب على المسلم أدائها فيه، بل من أحب الأعمال إلى الله، عن أبي عمرو الشيباني^(٥) يَقُولُ، حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَرَدُّهُ لَزَادَنِي^(٦). وأوضحت السنة العملية والقولية هذه الأوقات في أحاديث كثيرة منها، عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ، وَالْعَصْرَ وَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ، وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرَبِ. وَلَا يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ، وَلَا يَحِبُّ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَلَا الْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ. وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مَا بَيْنَ السَّتينِ إِلَى الْمِائَةِ^(٧). ومن سنته ﷺ التيسير على المسلمين في كل شؤونهم، ومن ذلك وقت الصلاة المشروع، فيرد بهم في الظهر، ويجب تأخير العشاء ولكن يرحم ضعيفهم وسقيمهم ويصليها في أول وقتها، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ. فَخَرَجَ، فَصَلَّى بِهِمْ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا. وَأَنْتُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمْ الصَّلَاةَ، وَلَوْ لَا الضَّعِيفُ وَالسَّقِيمُ أَحَبَّتْ أَنْ أُؤَخَّرَ هَذِهِ الصَّلَاةُ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ»^(٨). والأوقات المشروعة جعلت لإقامة

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصلاة-باب إثم المار بين يدي المصلي، حديث رقم: ٥٠٩ (١٠٧/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة-باب منع المار بين يدي المصلي، حديث رقم: ١١٦٠ (٥٨/٢).

(٢) سورة النساء: ١٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٩، ص: ١٦٧.

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم: ٥٢٧ (١١٢/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم: ٢٦٤ (٦٣/١).

(٧) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأذان-باب القراءة في الفجر، حديث رقم: ٧٧١ (١٥٣/١).

(٨) انظر: سنن النسائي-كتاب المواقيت-باب آخر وقت العشاء، حديث رقم: ٥٣٧ (٢٨٩/١). وانظر: سنن ابن ماجه-كتاب الصلاة-باب وقت صلاة العشاء، حديث رقم: ٦٩٢ (٧٢٦/١). صححه الألباني.

الفروض - الصلوات الخمس - وجاز فيها النفل، ونهي عن أوقات خارج أوقات الصلوات الخمس، وسميت عند الفقهاء أوقات الكراهة أي أنها منافية للمحبة، فلا يجوز الصلاة فيها إلا لذوات الأسباب من صلاة الجنائز وسنة الطواف بالبيت، وقضاء الفوائت من الفرائض، وغيرها، وهذه الأوقات حددت بثلاثة أوقات، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ وَكَانَ أَحَبَّهُمْ إِلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ^(١). ومن حديث عمرو بن عبسة عند مسلم، قال أَخْبَرَنِي عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ « صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمُحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ »^(٢) واختلف العلماء في النهي عن النوافل أوقات الكراهة الثلاثة المذكورة في الحديث، والذي عليه الجمهور أن النهي عن النوافل، واستثنوا ذوات الأسباب، من قضاء الفروض الفائت، أو تحية المسجد، إلى غير ذلك، قال ابن الجوزي في كشف المشكل: (واعلم أن هذا النهي يختص النوافل التي لا سبب لها، وأما التي لها سبب كتحية المسجد فهل يجوز فعلها فيه، عن أحمد روايتان، إحداهما: لا يجوز، والأخرى: يجوز، كقول الشافعي، واعلم أن كراهية التنفل في أوقات النهي تعم جميع المساجد، جميع الأيام، وقال الشافعي: لا يكره التنفل في هذه الأوقات بمسجد مكة خاصة، ولا يكره التنفل يوم الجمعة عند الزوال، وأما قضاء الفوائت وفعل المندورات في أوقات النهي فيجوز عندنا خلافاً لأبي حنيفة^(٣).

٨) المساجد أحب البلاد إلى الله:

إن مما اختص الله به رسولنا ﷺ أن جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، وكانت لأمته دون الأمم، فيصلّي المسلم حيث أدركته الصلاة في المكان الطاهر من الأرض، وجعل النبي ﷺ المساجد دوراً للعبادة، وسنته بناؤها والعناية بها، عن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَتَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رَذَفَهُ وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بَفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، حديث رقم: ١٩٥٨ (٢/٢٠٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب إسلام عمرو بن عبسة، حديث رقم: ١٩٦٧ (٢/٢٠٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن،

بني النجّار فقال: يا بني النجّار ثامنوني بحائطكم هذا. قالوا: لا والله لا نطلبُ ثمنه إلا إلى الله. فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم: قبورُ المشركين، وفيه خربٌ، وفيه نخلٌ. فأمر النبي ﷺ بقبورِ المشركين فنبشت، ثم بالحرب فسويت، وبالنخل فقطّع. فصفّوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارّة، وجعلوا ينقلون الصخرَ وهم يرتجزون، والنبي ﷺ معهم وهو يقول:

اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فاغفرُ للأَنْصارِ والمهاجرة^(١). وأعظم المساجد في الأرض المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، والكعبة البيت الحرام أصل المسجد الحرام، والحجر من البيت عن عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت: «كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَدْخُلَ الْبَيْتَ وَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي فِي الْحَجَرِ، فَقَالَ: صَلِّي فِي الْحَجَرِ إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ اقْتَصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكُعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ»^(٢). والمساجد عامة هي أحب البلاد إلى الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا. وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»^(٣). والمشي إليها لأداء الصلاة فيها من أحب الأعمال إلى الله، ولهذا حرص الصحابة والصالحون على المشي دون الركوب احتساباً لأجر الخطوات في الحسنات ورفع الدرجات وحط السيئات، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَبْتَغِي أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ فَتَوَجَّعْنَا لَهُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ بَيْتِي مُطَنَّبٌ بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ. قَالَ فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ فَدَعَا. فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»^(٤). وعن عبد الله بن قيس بن مخزومة قال: أقبلت من مسجد بني عمرو بن عوف بقباء على بغلة لي، قد صليتُ فيه، فلقيتُ عبد الله بن عمر ماشياً، فلما رأيته نزلتُ عن بغلي، ثم قلت: اركبْ أيَّ عَمٍّ قال: أي ابن أخي، لو أردتُ أن أركب الدوابَّ لوجدتها، ولكني رأيت رسول الله ﷺ يمشي إلى هذا المسجد حتى يأتي فيصلِّي فيه، فأنا أحبُّ أن أَمْشِيَ إِلَيْهِ كَمَا رَأَيْتُهُ يَمْشِي، قال: فأبى أن يركب، ومضى على وجهه^(٥).

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصلاة-باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، حديث رقم: ٤٢٩ (١/٩٤).

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب المناسك-باب في الحجر، حديث رقم: ٢٠٣٠ (٢/١٦٣). وانظر: سنن الترمذي-كتاب الحج عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٨٧٦ (٣/٢٢٥). وانظر: سنن النسائي-كتاب مناسك الحج-باب الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٢٩١٢ (٥/٢١٩)، وانظر: مسند الإمام أحمد-حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦١٦ (٤١/١٦٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح دون قوله: "صلي في الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت" فحسن لغيره.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، حديث رقم: ١٥٦٠ (٢/١٣٢).

(٤) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث رقم: ١٥٤٨ (٢/١٣٠).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، حديث رقم: ٥٩٩٩ (١٠/٢٠٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

ثانيا: مرحلة الأداء الشرعي للصلاة: وتشمل الأركان والواجبات والسنن:

(١) صفة الصلاة:

إن صفة الصلاة نقلت لنا عن النبي ﷺ قولاً وعملاً، ولقد تعلمها الصحابة منه مشاهدة ومساءلة، وأمرهم بأخذها عنه، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَابَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلُّوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيُؤْمَمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ^(١)). وهكذا كان الصحابة ينقلون صفة صلاة النبي ﷺ قولاً وعملاً، ويحرص المسلمون على أخذها كما جاءت عن النبي ﷺ، عن مَيْمُونِ الْمَكِّيِّ، «أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ صَلَّى بِهِمْ يُشِيرُ بِكَفِّهِ حِينَ يَقُومُ وَحِينَ يَرْكَعُ وَحِينَ يَسْجُدُ وَحِينَ يَنْهَضُ لِلْقِيَامِ فَيَقُومُ فَيُشِيرُ بِيَدَيْهِ فَأَنْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ صَلَّى صَلَاةً لَمْ أَرِ أَحَدًا يُصَلِّيَهَا، فَوَصَفْتُ لَهُ هَذِهِ الْإِشَارَةَ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّتِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْتَدِ بِصَلَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ^(٢)». وعن عبد الجبار^(٣) بن وائل بن حجر عن أبيه قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ لِي مِنْ وَجْهِهِ مَا لَا أَحِبُّ أَنْ يَبْهَ مِنْ وَجْهِهِ، رَجُلٌ مِنْ بَادِيَةِ الْعَرَبِ صَلَّيْتُ خَلْفَهُ وَكَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ كُلَّمَا كَبَّرَ وَرَفَعَ وَوَضَعَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَيَسْلَمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ^(٤)». وللصلاة أركان وواجبات وسنن ومكروهات ومبطلات، فصل فيها الفقهاء على اتفاق في العدد والأوقات والأركان المصطلح عليها بينهم، وعلى اختلاف في بعض الواجبات والسنن، والمكروهات والمبطلات، فإن مما يجب أن نعرفه أن الصلاة قرآن وذكر من تكبير وتسييح وتلليل في قيام وركوع وسجود على صفات مخصوصة، وفي أوقات مخصوصة، وتقوم على أركان متفق عليها من أهمها: النية بتكبير الإحرام وقراءة الفاتحة، والركوع والرفع منه، والسجود والاعتدال منه، والجلوس بين السجدين، وجلوس التشهد الأخير والصلاة على النبي ﷺ، والتسليم. ويبطلها الأكل والشرب والنوم والخارج من

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب رحمة الناس والبهائم حديث رقم: ٦٠٠٨ (٩/٨). وانظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب من أحق بالإمامة، حديث رقم: ١٥٦٧ (٢/١٣٤).

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصلاة- باب افتتاح الصلاة، حديث رقم: ٧٣٩ (١/٢٦٩). انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم: ٢٦٢٧ (٤/٣٨٢). وصححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) أبو محمد عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي الكندي، ولد بعد موت أبيه بستة أشهر، روى عن علقمة بن وائل وروى عنه محمد بن جحادة، مات سنة اثني عشرة ومائة. انظر: الثقات لابن حبان (٧/١٣٥) وتهذيب التهذيب للمزي (٦/٩٥) ورجال مسلم لابن منجويه الأصبهاني (١/٤٤٦) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٥٧٣).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين، حديث رقم: ١٨٨٦١ (٣١/١٥٣). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح دون رفع اليدين عند السجود.

السبيلين، والكلام الخارج عنها لغير مضطر، عن مُعَاذٍ^(١) بن رِفَاعَةَ بن رَافِعٍ عن أبيه، قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فقال من المتكلم في الصلاة فلم يتكلم أحد ثم قالها الثانية من المتكلم في الصلاة؟ فلم يتكلم أحد ثم قالها الثالثة من المتكلم في الصلاة؟ فقال رفاعة بن رافع ابن عفراء ﷺ: أنا يا رسول الله. قال: كيف قلت؟ قال: قلت: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا أيهم يصعد بها^(٢). وكان النبي ﷺ يحرص على تعليم الصلاة من يجهل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ سَلَّمَ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ فَأَعْلَمَنِي قَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ وَأَقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ وَتَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا^(٣). ومن الروابط بين المحبة والعبادة أن المحب الناصح يسعى في الدلالة على الخيرات في العبادة، وما يصلح به أمر الحياة، ومن محبته ﷺ لعلي ﷺ نصحه الدائم له، ومن ذلك ما خصه هنا بأمر الصلاة، عن عليّ ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عليّ إني أحب لك ما أحب لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تقرأ وأنت راكع ولا وأنت ساجد، ولا تصلّ وأنت عاقص شعرك فإنه كفل الشيطان، ولا تقع بين السجدين، ولا تعبت بالحصى، ولا تفتش ذراعيك، ولا تفتح على الإمام، ولا تتختم بالذهب، ولا تلبس القسي، ولا تركب على الميائثر»^(٤). وفقه العلماء من هذا الحديث وغيره بعض مبطلات ومكروهات الصلاة، قال البغوي في شرح السنة: (قال أبو عيسى: قد ضعف بعض أهل العلم الحارث الأعور. قلت: هذا الحديث فيه فوائد، منها النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأن لا يصلي عاقص الشعر، بل يرسله حتى يسقط على موضع سجوده، كما روينا عن ابن عباس أن النبي ﷺ نهى أن يكف منه الشعر والثياب ومنها كراهية الإقعاء بين السجدين، وعليه أكثر أهل العلم، وقد صح عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ ينهى عن عقبه الشيطان والإقعاء. قال أبو عبيدة: هو جلوس الإنسان على أليتيه ناصبا فخذه، واضعا يديه بالأرض مثل

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٢) انظر: سنن الترمذي- كتاب الصلاة- باب ما جاء في الرجل يعطس في الصلاة، حديث رقم: ٤٠٤ (٢/٢٥٤). وانظر: سنن النسائي-

كتاب الافتتاح- باب قول المأموم إذا عطس الإمام، حديث رقم: ١٠٠٥ (١/٤٧٩). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الإيمان والنذور- باب إذا حث ناسيا في الإيمان، حديث رقم: ٦٦٦٧ (٨/١٣٥).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٤٤ (٢/٤٠٢). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند:

هذا إسناد ضعيف.

إقعاء الكلب والسبع، وليس هذا معنى الحديث من الإقعاء، وتفسير أصحاب الحديث في عقبة الشيطان وفي الإقعاء واحد، وهو أن يضع أليته على عقبه، ويقعد مستوفزا غير مطمئن إلى الأرض، وذهب بعض أهل العلم إلى الإقعاء بين السجدين، قال طاوس: قلنا لابن عباس في الإقعاء على القدمين؟ قال: هي السنة، قال طاوس: رأيت العبادلة يفعلون ذلك: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير. قال أبو سليمان الخطابي: وقد روي عن ابن عمر أنه قال لبيه: لا تقتدوا بي في الإقعاء، فإني إنما فعلت هذا حين كبرت. وروي عن ابن عمر، أنه كان يقعي في الصلاة ويشري، معناه: أنه كان يضع يديه بالأرض بين السجدين، فلا يفارقان الأرض حتى يعيد السجود، وهكذا يفعل من أقعى، وكان يفعل ذلك حين كبرت سنه قال الخطابي: ويشبه أن يكون حديث الإقعاء منسوخا. والأحاديث الثابتة في صفة صلاة رسول الله ﷺ عن أبي حميد، ووائل بن حجر: أنه قعد بين السجدين مفترشا قدمه اليسرى، وقد رويت الكراهية في الإقعاء عن جماعة من الصحابة، وكرهه النخعي^(١) ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي، وعامة أهل العلم. قلت: ومن فوائد الحديث كراهية مسح الحصى في الصلاة^(٢)

٢) الخشوع في الصلاة:

قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) ^(٣) قال القرطبي في تفسيره: (والخشوع محله القلب، فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه، إذ هو ملكها)^(٤)، ويعني الخشوع التذلل لله تعالى والتدبر في معاني التسييح والتكبير وما يتلو من آيات، محبة لها، ولما فيها من الفضل، وهذا ما كان عليه السلف، يرحمهم الله، من الانقطاع بقلوبهم وجوارحهم من الدنيا إلى الله والدار الآخرة، عن جابر رضي الله عنه، قال «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاءِ - فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أُهْرِيْقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا، فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: كُونَا بِفَمِ الشَّعْبِ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشَّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَآتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَيْبَةَ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ هَرَبًا: فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا أَنْبَهْتَنِي أَوَّلَ

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ط ٣، ج ٣، ص: ١٥٥ - ١٥٧.

(٣) سورة المؤمنون: ١ - ٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٢، ص: ١٠٣.

مَا رَمَى؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُؤَهَا فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا^(١). قال ابن كثير في تفسيره: (والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين)^(٢)

٣) صلاة العيدين:

العيدين يوما فرح للمسلمين، يأتي عيد الفطر في أول يوم من شهر شوال بعد تمام عبادة ركن الإسلام السنوي وهو صيام شهر رمضان، ويأتي عيد الأضحى بعد أداء المسلمين ركن الإسلام العمري وهو الحج، ويوم عيد النحر، اليوم العاشر من ذي الحجة أي بعد يوم عرفة، والحج عرفة، اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ الدَّيْلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، وَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الْحَجُّ؟ قَالَ: الْحَجُّ عَرَفَةُ، فَمَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، لَيْلَةَ جَمْعٍ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، أَيَّامٌ مَنَى ثَلَاثَةً، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ، فَلَا إِيَّامَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ، فَلَا إِيَّامَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَرْدَفَ رَجُلًا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ يَنَادِي بِهِ^(٣).

ويوما العيد هما يوما تكبير وتكبير وحمد وشكر لله، يتواصل فيهما المسلمون بالتهنئة والمباركة، على تمام الأعمال الصالحة، ويتبادلون المحبة ويؤكدون الصلة، يلبسون الجديد، ويحضر الصلاة الناس جميعهم، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٤) قَالَتْ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُخْرَجَ فِي الْعِيدَيْنِ الْعَوَاتِقَ وَالْحَيِضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحَيِضُ فَإِنَّهُنَّ يَكُنَّ بِقُرْبِ الْمُصَلِّي يَشْهَدْنَ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)^(٥). يسعدون بصلاة العيد، ويجتمعون لأدائها على صفة خاصة بها في هذين اليومين، وبهما سميت صلاة العيدين، وهي: ركعتان بسبع تكبيرات في الركعة الأولى مع تكبيرة الإحرام قبل قراءة الفاتحة وست تكبيرات في الركعة الثانية مع تكبيرة الرفع قبل قراءة الفاتحة على اختلاف في عدد التكبيرات عند الفقهاء، وهي في حكم الجمهور بين فرض كفاية وواجب وسنة مؤكدة، قال ابن قدامة في المغني: (وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ. وَصَلَاةُ الْعِيدِ فَرَضٌ عَلَى الْكُفَايَةِ، فِي ظَاهِرِ الْمَذْهَبِ، إِذَا قَامَ بِهَا مَنْ يَكْفِي سَقَطَتْ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِنْ اتَّفَقَ أَهْلُ بَلَدٍ عَلَى تَرْكِهَا قَاتَلَهُمُ الْإِمَامُ. وَبِهِ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ،

(١) انظر: سنن أبي داود-كتاب الطهارة- باب الوضوء من الدم حديث رقم: ١٩٨ (٧٧/١). وانظر: مسند الإمام أحمد- مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٤٧٠٤ (٥٢/٢٣). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢ ط، ١٤٢٠هـ، ج ٥ ، ص: ٤٦١.

(٣) انظر: سنن ابن ماجه -كتاب المناسك- باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، حديث رقم: ٣٠١٥ (٢١٨/٤). صححه الألباني.

(٤) سبقت ترجمتها. انظر: فهرس الأعلام.

(٥) - انظر: صحيح البخاري - كتاب العيدين - باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد، حديث رقم: ١٦٥٢ (١٦٠/٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة العيدين - باب ذكر إباحتها خروج النساء إلى المصلى وشهود الخطبة مفارقات للرجال، حديث رقم: ٢٠٩١ (٢٠/٣).

وَلَيْسَتْ فَرَضًا، لَأَنَّهَا صَلَاةٌ شَرَعَتْ لَهَا الْخُطْبَةُ، فَكَانَتْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْيَانِ، وَلَيْسَتْ فَرَضًا. كَالْجُمُعَةِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُوسَى: قِيلَ إِنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ غَيْرُ وَاجِبَةٍ. وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ (١) وبعد الركعتين خطبة العيد، ومن يسر الإسلام أن يسر النبي ﷺ على الأمة وأذن في الانصراف بعد الصلاة فيمن رغب ألا يحضر الخطبة، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعِيدَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: إِنَّا نَخْطُبُ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ لِلْخُطْبَةِ فَلْيَجْلِسْ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْهَبَ فَلْيَذْهَبْ». (٢) قال أبو الحسن المباركفوري في مرعاة المفاتيح: (قال المجد بن تيمية: فيه بيان أن الخطبة سنة، إذ لو وجبت وجب الجلوس لها، قال الشوكاني: قد اتفق الموجبون لصلاة العيد وغيرهم على عدم وجوب خطبته، ولا أعرف قائلًا يقول بوجوبها) (٣)

٤) صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة في الفروض ثبتت بنصوص القرآن والسنة، وأقامها النبي ﷺ في المسجد والصحابة والتابعون، ونقلت عنهم النصوص الكثيرة في فضلها على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وورد في بعض النصوص الوعيد والوصف بالنفاق لمن ترك إقامة الصلاة جماعة، واختلف الفقهاء في حكمها، وقد أقامها النبي ﷺ جماعة في وقت الحرب والخوف جماعة مما يبين وجوبها في حال السلم والأمن من باب أولى، قال الله تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) (٤) والصلاة جماعة محبة إلى الله تعالى في كثرتها، عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ فَقَالَ: أَشَاهِدُ فَلَانٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَشَاهِدُ فَلَانٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ جَثَوْا عَلَى الرُّكْبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فِيصَلَّتُهُ لَأَتَيْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ» (٥). وصلاة الجماعة من أبرز شعائر

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص: ٢٢٣.

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصلاة-باب الجلوس للخطبة، حديث رقم: ١١٥٧ (٤٤٩/١). قال أبو داود: وَهَذَا مُرْسَلٌ عَنْ غَطَّاءٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. صححه الألباني.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحاني المباركفوري، الهند: الجامعة السلفية بنارس، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٥، ص: ٧١.

(٤) سورة النساء: ١٠٢.

(٥) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصلاة-باب في فضل صلاة الجماعة، حديث رقم: ٥٥٤ (٢١٧/١). حسنه الألباني.

الإسلام التي تقوي الروابط بين المجتمع المسلم وتشيع المحبة بين المسلمين، حيث يتفقد بعضهم أحوال بعض وتبث الأمن النفسي والاجتماعي في حياتهم.

٥) صلاة العصر:

قال الله تعالى: (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) ^(١) واختلف أهل العلم في الصلاة الوسطى، ما هي؟ الصبح أم الظهر أم العصر أم المغرب أم العشاء الآخرة؟ كل على تأويل الوسط من الصلوات أو الأوقات، قال البغوي في تفسيره: (وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله ﷺ وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن) ^(٢) وبه قال بعض المفسرين المعاصرين كالشيخ عبد الرحمن السعدي وغيره وعن أبي هريرة ؓ «أن رسول الله ﷺ نَزَلَ بَيْنَ ضُجْنَانَ ^(٣) وَعُسْفَانَ ^(٤)، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّ لَهُوْلَاءَ صَلَاةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَهِيَ الْعَصْرُ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ فَمِيلُوا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَأَنَّ جِبْرَائِيلَ أَتَى النَّبِيَّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْسِمَ أَصْحَابَهُ شَطْرَيْنِ فَيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَتَقُومَ طَائِفَةٌ أُخْرَى وَرَاءَهُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِيَ الْآخَرُونَ وَيُصَلُّونَ مَعَهُ رَكْعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ يَأْخُذُ هَؤُلَاءِ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ فَتَكُونُ لَهُمْ رَكْعَةٌ وَاحِدَةً وَلِرَسُولِ اللَّهِ رَكْعَتَانِ» ^(٥). ومن أسباب محبة صلاة العصر أن النبي ﷺ حث عليها أكثر من غيرها وبين أن من صلاها دخل الجنة، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ^(٦)، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: (أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُصَامُونَ، أَوْ لَا تُصَاهُونَ - فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَالَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) ^(٧)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ

(١) سورة البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) - معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ٢٨٨.

(٣) ضُجْنَان: جبل بناحية قحمة، وقيل ضُجْنَان جليل على بريد من مكة، وله ذكر في المغازي، وقال الواقدي: بين ضُجْنَانَ ومكة خمسة وعشرون ميلاً، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٥٣/٣).

(٤) عُسْفَان بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون فعلاً، سميت عُسْفَان لتعسف السيل فيها، كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها، وهي منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وهي من مكة على مرحلتين وقيل عُسْفَان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة، وغزا النبي ﷺ بني لحيان بعُسْفَان وقد مضى لهجرته خمس سنين. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٢١/٤).

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة النساء، حديث رقم: ٣٠٣٥ (٢٤٣/٥). حسن إسناده الألباني.

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة الفجر، حديث رقم: ٥٧٤ (١١٩/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر واحفظتهما عليهما، حديث رقم: ١٤٧٠ (١١٤/٢).

(٧) انظر: صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة الفجر، حديث رقم: ٥٧٣ (١١٩/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر واحفظتهما عليهما، حديث رقم: ١٤٦٦ (١١٣/٢).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى احْمَرَّتِ الشَّمْسُ أَوْ اصْفَرَّتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « شَعَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَا لَئِذَا أَجَوَّافَهُمْ وَقُبُورُهُمْ نَارًا ». أَوْ قَالَ « حَشَا لِلَّهِ أَجَوَّافَهُمْ وَقُبُورُهُمْ نَارًا »^(١).

٦ (النافلة ومحبة أدائها في البيت :

عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ حَرَامِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَّمَا أَفْضَلُ؟ الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي أَوْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي؟ مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً^(٢). ومن النوافل التي وردت بلفظ الحب ما يلي:

أ) صلاة الضحى:

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا)^(٣). والسبحة النافلة، والضحى الوقت الذي يلي علو الشمس من المشرق إلى قبيل الزوال وهي التي ينتشر فيها الضياء ويعتدل فيها النهار، أورد البغوي في تفسيره: (وقال قتادة ومقاتل^(٤): يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار)^(٥) وعُني بالسبحة النافلة، فالتسبيح نافلة في الفريضة، قال ابن حجر: (وسميت الصلاة سبحة لما فيها من تعظيم الله وتزيهه ومنه كان يسبح بعد العشاء أي يتنفل)^(٦) وقد ثبتت محبة صلاة الضحى في أحاديث كثيرة صحيحة، وهي عمل محبوب شرعا، ورأى العلماء فعلها في بعض الأيام دون بعض: (قال الطبري: فلو لم يدل على وهم الحديث عن عائشة، أن النبي لم يسبح سبحة الضحى، إلا هذه الأخبار المدونة عنها أنه صلاها، فكيف وفي خبر عبد الله بن شقيق عنها أنه كان يصلها عند قدومه من مغيبه؟ قال غيره: وقد يمكن الجمع بين أحاديث عائشة وغيرها، فيحمل قولها: ما رأيت رسول الله يسبح

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، حديث رقم: ١٤٥٨ (١١٢/٢).

(٢) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب إقام الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في التطوع في البيت، حديث رقم: ١٣٧٨ (٣٩١/٢). صححه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب التهجد- باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، حديث رقم: ١١٢٨ (٥٠/٢). وانظر صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، حديث رقم: ١٦٩٥ (١٥٦/٢).

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٨، ص: ٤٥٤.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ١٢٩.

سبحة الضحى، يعنى مواظباً عليها ومعلناً بها، لأنه يجوز أن يصلّيها بحيث لا تراه، وقد روى عن عائشة أنها كانت تغلق على نفسها بابها ثم تصلي الضحى. وقال مسروق: كنا نقرأ في المسجد فبقى بعد قيام ابن مسعود، ثم نقوم فنصلي الضحى، فبلغ ابن مسعود ذلك، فقال: لم تحملوا عباد الله ما لم يحملهم الله؟ إن كنتم لابد فاعلين ففي بيوتكم. وكان أبو مجلز^(١) يصلي الضحى في منزله. وكان مذهب السلف الاستتار بها وترك إظهارها للعامة، لئلا يرونها واجبة. وفي قولها: « وإني لأسبحها » دليل أنها صلاة مندوب إليها مرغّب فيها^(٢) وعن سعيد بن جبير: (إني لأدعها وأنا أحبها مخافة أن أراها حتما علي)^(٣) وجمع ابن القيم في كتابه زاد المعاد ستة أقوال في حكمها ورجح عدم المداومة عليها بل العمل بها أياما وتركها في آخر، قال: (وَمَنْ تَأَمَّلَ الْأَحَادِيثَ الْمَرْفُوعَةَ وَآثَارَ الصَّحَابَةِ وَجَدَهَا لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَأَمَّا أَحَادِيثُ التَّرْغِيبِ فِيهَا وَالْوَصِيَّةُ بِهَا فَالصَّحِيحُ مِنْهَا كَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ رَاتِبَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَوْصَى أَبُو هُرَيْرَةَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَخْتَارُ دَرَسَ الْحَدِيثِ بِاللَّيْلِ عَلَى الصَّلَاةِ فَأَمَرَهُ بِالضَّحَى بَدَلًا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَلِهَذَا أَمَرَهُ أَلَّا يَنَامَ حَتَّى يُوتِرَ وَلَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ. وَعَامَّةُ أَحَادِيثِ الْبَابِ فِي أَسَانِيدِهَا مَقَالٌ وَبَعْضُهَا مُنْقَطِعٌ وَبَعْضُهَا مَوْضُوعٌ لَا يَحِلُّ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ كَحَدِيثِ يُرْوَى عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا مِنْ دَاوَمَ عَلَى صَلَاةِ الضَّحَى وَلَمْ يَقْطَعْهَا إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي زَوْرَقٍ مِنْ نُورٍ فِي بَحْرِ مِنْ نُورٍ)^(٤) واختلفت الروايات أيضا في عدد ركعاتها من ركعتين وأربع - وهو ما عليه الأكثرون - وست وثمان وعشر واثنى عشرة وقيل ليست محصورة بعدد. والمنقول عن جمهور العلماء استحباب الضحى، وإنما نقل التوقف فيها عن ابن مسعود وابن عمر كما ذكره النووي في المنهاج^(٥)، وأوردنا قوله في ذلك عند نوافل الصلاة ومنها سبحة الضحى، وورد في عند مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»^(٦).

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلان البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٥، ص: ١٨٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ٣، ص: ٥٥.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص: ٣٥٧.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٥، ص: ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٦) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، حديث رقم: ١٧٠٤ (١٥٨/٢).

ب) ركعتا الفجر النافلة:

سنة صلاة الفجر ركعتان قبلية، وهما من النوافل المحبة لحرص النبي ﷺ عليها وكان يؤديهما خفيفة، ويقرأ فيهما بعد الفاتحة بقل هو الله أحد في الأولى وقل يا أيها الكافرون في الثانية - السورتين - وجعل النبي ﷺ أدائها خير من متاع الدنيا لما فيها من الأجر العظيم، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ، فِي شَأْنِ الرَّكَعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»^(١). وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مُعَاهَدَةً مِنْهُ عَلَى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ)^(٢) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (قولها لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح فيه دليل على عظم فضلها وأنها سنة ليست واجبتين وبه قال جمهور العلماء وحكى القاضي عياض عن الحسن البصري رحمهما الله تعالى وجوبهما والصواب عدم الوجوب لقولها على شيء من النوافل)^(٣)

ج) السنن الرواتب:

السنن الرواتب هي ما ورد عن النبي ﷺ من صلاة نافلة قبل الصلوات المفروضة أو بعدها في اليوم واللييلة، وهي من الفضائل وقد بشر النبي ﷺ من ثابر عليها ببيت في الجنة، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (من ثابر على اثنتي عشرة ركعة بنى الله عز وجل له بيتا في الجنة أربعاً قبل الظهر وركعتين بعد الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر)^(٤) وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ السُّلُولِيِّ^(٥)، قَالَ: سَأَلْنَا عَلِيًّا عَنْ تَطَوُّعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تُطِيقُوهُ، فَقُلْنَا: أَخْبِرْنَا بِهِ نَأْخُذَ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْنَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ يُمَهِّلُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مِقْدَارَهَا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ هَاهُنَا، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مِقْدَارَهَا مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ هَاهُنَا، قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالتَّيَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. قَالَ عَلِيٌّ: فَنِلْكَ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب ركعتي الفجر والحث عليهما وتخفيفها والحفاظة عليهما وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، حديث رقم: ١٧٢٢ (٢/١٦٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست حديث رقم: ١٧١٩ (٢/١٦٠).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٦، ص: ٤ - ٥.

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب ثواب من صلى في اليوم واللييلة اثني عشرة ركعة سوى المكتوبة، حديث رقم: ١٧٩٣ (٣/٢٨٩).

(٥) عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي، عن علي، وعنه حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة، وثقه ابن المديني وابن معين، وتكلم فيه غيرهما، قال خليفة: مات سنة أربع وسبعين ومائة. انظر: خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال لصفي الدين الخرجي (١/١٨٢).

سِتَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً، تَطَوُّعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ، وَقَلَّ مَنْ يُدَاوِمُ عَلَيْهَا. قَالَ وَكِيعٌ: زَادَ فِيهِ أَبِي: فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِحَدِيثِكَ هَذَا مِلَّةٌ مَسْجِدُكَ هَذَا ذَهَبًا.^(١) هذا التعبير القوي الذي يوضح مدى الحرص على العلم وعلى اتباع سنة النبي ﷺ يجعل المسلم فرحاً برجال الأمة الأخيار ويفرح بهذا الفضل العظيم، وبمعرفة السنن التي يهتدي بها إلى صراط الله المستقيم الذي عليه الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

د) صفة قيام الليل والوتر:

قيام الليل بالصلاة والذكر والدعاء من الأعمال المحبة إلى الله، وقد أثنى الله على عباده المتقين الحسنيين - الذين يحبهم - بقيام الليل والاستغفار، وقد بوب الإمام البخاري، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه. ويصوم يوماً ويفطر يوماً قال عليُّ: وهو قول عائشة: «ما ألفاهُ السحرُ عندي إلا نائماً»^(٢). السحر آخر الليل، أورد القرطبي في تفسيره: (وقال الزجاج: السحر من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني، وقال ابن زيد: السحر هو سدس الليل الآخر. قلت: أصح من هذا ما روى الأئمة عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: " يترل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفري فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر " في رواية " حتى ينفجر الصبح " لفظ مسلم)^(٣) ومن هذا التقسيم الوارد في حديث عائشة رضي الله عنها، أن داود عليه السلام يُسَدِّسُ الليل ستة أسداس، ينام أوله ثلاثة أسداس، ومن ثم يقوم الليل بسدسين، ومن ثم ينام سدسه الأخير، وقد قام من الليل نبينا ﷺ حتى تفتطرت قدماه، شكر الله، وهو في خصوصية من ذلك، وقد أمر أمته من الأعمال ما تطيق، وبين أن المداومة على العمل الصالح محبة إلى الله، وإن قل العمل، عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يَحْتَجِرُ حَصِيراً بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي، وَيَسْطُهِ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَوَبُّونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تَطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»^(٤). وفي رواية، عن مسروق «قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحبَّ إلى النبي ﷺ؟

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء فيما يستحب من التطوع بالنهار، حديث رقم: ١١٦١ (٢/٢٤٠). وانظر مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم - مسند علي بن أبي طالب ؓ حديث رقم: ١٢٠٩ (٢/٣٨٦). حسنه الألباني.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب من نام عند السحر، حديث رقم: ١١٣٣ (٢/٥١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٣٨ - ٣٩.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، حديث رقم: ٥٨٦١ (٧/١٥٥).

قالت الدائم. قال: قلتُ: في أيِّ حين كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ»^(١). والصارخ: أي صياح الديك، قال ابن حجر: (وقوله الصارخ أي الديك ووقع في مسند الطيالسي في هذا الحديث الصارخ الديك والصرخة الصيحة الشديدة وجرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل غالباً قاله محمد بن ناصر قال ابن التين وهو موافق لقول بن عباس نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل وقال ابن بطلال: الصارخ يصرخ عند ثلث الليل وكان داود يتحرى الوقت الذي ينادي الله فيه هل من سائل كذا قال والمراد بالدوام قيامه كل ليلة في ذلك الوقت لا الدوام المطلق)^(٢) وقد فصل ابن حجر يرحمه الله، أيضاً، المقال في وتر رسول الله في شرحه لصحيح البخاري وحصر أحاديث عدد الركعات في قيام رسول الله ﷺ الليل بقوله: ((قوله باب كيف صلاة الليل وكم كان النبي ﷺ يصلي بالليل))^(٣) أورد فيه أربعة أحاديث:

أولها: حديث ابن عمر، صلاة الليل مثنى مثنى.. الحديث، وقد تقدم الكلام عليه في أول أبواب الوتر وأنه الأفضل في حق الأمة لكونه أجاب به السائل وأنه ﷺ صح عنه فعل الفصل والوصل.

ثانيها: حديث أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما، كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة، يعني بالليل. وأخرجه مسلم والترمذي بلفظ: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في أول أبواب الوتر أيضاً، وتقدم أيضاً بيان الجمع بين مختلف الروايات في ذلك.

ثالثها: حديث عائشة من رواية مسروق^(٤)، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر.

رابعها: حديثها من طريق القاسم^(٥) عنها كان يصلي من الليل ثلاث عشرة منها الوتر وركعتا الفجر، وفي رواية مسلم من هذا الوجه كانت صلاته عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة، فأما ما أجابت به مسروقاً فمرادها أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقاق- باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٦٤٦١ (٨/٩٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٣، ص: ١٧.

(٣) المرجع السابق: ج ٣، ص: ٢٠.

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو محمد، ويقال أبو عبد الرحمن المدني الضرير، أخرج له البخاري في الغسل وغيره عن الزهري ونافع وابن أبي مليكة ويحيى بن سعيد وربيعه وابنه عبد الرحمن وغيرهم عنه، عن عمته عائشة وابن عمر وعبد الرحمن ومجمع ابني يزيد بن حارثة وعبد الله بن حباب وحنظلة بن أبي سفيان، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ومن أئمة الحديث والفقهاء، قال البخاري، توفي القاسم بن محمد في ولاية يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز سنة إحدى أو اثنتين ومائة، وعن مالك قال: كان القاسم رجلاً عاملاً، وعن يحيى بن سعيد قال: ما أدركننا بالمدينة آخر نفضله على القاسم بن محمد. انظر التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (١١٩٨/٣).

تسعا وتارة إحدى عشرة وأما حديث القاسم عنها فمحمول على أن ذلك كان غالب حاله (والوتر من صلاة الليل، وقد ثبتت محبة الله تعالى للوتر، لأنه هو الله الواحد الأحد الصمد الذي لا شريك له، والوتر هو الفرد وفيه دلالة الوجدانية، وهو مقابل للزوج الذي فيه دلالة الشراكة، ومن محبة الصحابة وتعظيمهم للتوحيد كان منهم من يلزم نفسه بقراءة سورة الإخلاص في كل ركعة من صلاته، لما فيها من تعظيم التوحيد وصفة الرحمن، عن عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ - «عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقر بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبها»^(١). وإثبات النبي ﷺ محبة الله لهذا الصحابي هي إقرار لفعله في خصوصه، و ثبت أيضاً من سنته ﷺ أنه يقرأ بها في وتره، والله وتر، يجب الوتر، عن أبي هريرة رواية قال: لله تسعة وتسعون اسماً - مائة إلا واحداً - لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(٢). وكان ختام صلاة الليل كما ثبت من السنة أن تكون وتراً، عن سعد بن هشام^(٣)، أنه لقي ابن عباس رضي الله عنهما فسأله عن الوتر فقال: «ألا أنبتك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: عائشة. انتهت فسألها ثم أرجع إلي فأخبرني بردها عليك، فأنتيت على حكيم بن أفلح^(٤) فاستلحقته إليها فقال ما أنا بقاربها، إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً فأقسمت عليه، فجاء معي فدخل عليها فقالت لحكيم: من هذا معك؟ قلت: سعد بن هشام قالت: من هشام؟ قلت: ابن عامر فترحمت عليه وقالت: نعم المرأة كان عامراً، قال: يا أم المؤمنين أنبيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: أليس تقرأ القرآن؟ قال: قلت بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ القرآن فهممت أن أقوم فبدأ لي قيام رسول الله ﷺ فقال: يا أم المؤمنين أنبيني عن قيام نبي الله ﷺ؟ قالت: أليس تقرأ هذه السورة، {يا أيها المزمل}؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله عز وجل خاتمها اثني عشر شهراً ثم أنزل الله عز وجل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد أن كان فريضة فهممت أن

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم: ٧٣٧٥ (١١٥/٩). وانظر صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة (قل هو الله أحد)، حديث رقم: ١٩٢٦ (٢٠٠/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الدعوات- باب الله مائة اسم غير واحد، حديث رقم: ٦٤١٠ (٨٧/٨).

(٣) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري، ابن عم أنس بن مالك، سمع عائشة، روى عنه ذرارة بن أبي أوفى في تفسير (عبس) قتل بأرض مكران على أحسن حال. انظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (٣٠٤/١).

(٤) حكيم بن أفلح الحجازي المدني، روى عن أبي مسعود الأنصاري وعائشة أم المؤمنين، وروى عنه جعفر بن عبد الله الأنصاري والد عبد الحميد، انظر تهذيب الكمال للمزي ٧٤٢ (٧/١٦١).

أَقُومَ قَبْدًا لِي وَتَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَن وَتَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: كُنَّا نُعَدُّ لَهُ سَوَاكُهُ وَطَهُورَهُ فَيُعْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي ثَمَانِي رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ يَجْلِسُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدْعُو ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَةً فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ فَلَمَّا أَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ اللَّحْمَ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا سَلَّمَ فَتِلْكَ تِسْعَ رَكَعَاتٍ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يَدُومَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا شَغَلَهُ عَنِ قِيَامِ اللَّيْلِ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً وَلَا أَعْلَمُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَلَا قَامَ لَيْلَةً كَامِلَةً حَتَّى الصَّبَاحَ وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ. فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِهَا فَقَالَ: صَدَقْتَ أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَذْخُلُ عَلَيْهَا لِأَتَيْتُهَا حَتَّى تُشَافِهَنِي مُشَافَهَةً»^(١).

ثالثا: مرحلة الفراغ من الصلاة: وتشمل الاشتغال بالذكر والدعاء:

الصلاة في اللغة تعني الدعاء، أورده ابن فارس في معجمه وغيره عند التأصيل اللغوي في أصل الصاد واللام والحرف المعتل (صلي)^(٢)، والدعاء مخ العبادة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ)^(٣) وقيام المسلم بشعائر الإسلام تعبدا لله؛ فهو في واقع حاله ومقاله، يذكر الله ويسبحه ويقدمه ويعظمه ويدعوه طالبا الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار، والمسلم يكون في صلاة حين استعداده وانتظاره للصلاة وحين قيامه بها قياما وركوعا وسجودا وحين يذكر الله بعدها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَلَاةٌ أَحَدَكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَيَبْتِغِي بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بَأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَا يَنْهَرُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ وَقَالَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ^(٤). وهذا الفضل العظيم المبارك، يحب المسلم في هذه الشعيرة العظيمة، ومن سنن الهدى أن يستغفر المصلي ربه ويسبحه ويحمده ويكبره، ويهلل ويدعوه دبر الصلاة، وأن يحافظ على أذكار الصباح

(١) انظر: سنن النسائي-كتاب قيام الليل وتطوع النهار-باب قيام الليل، حديث رقم: ١٦٠٠ (٢٢١/٣). صحيحه الألباني.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣. ص: ٣٠٠.

(٣) انظر: الترمذي-كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٣٧١ (٥٦/٥). ضعفه الألباني. أما ما رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة: (قال ربكم ادعوني استجب لكم)".

(قال: إسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٨٨٧)، والحاكم والذهبي). وأخرجه أصحاب السنن.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم: ٢١١٩ (٦٦/٣).

والمساء في مسجده و مصلاه، ورد عند مسلم في صحيحه، باب فضل الجلوس في مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا^(١). وحسنا هنا: أي تطلع الشمس حسناء^(٢)، أي: واضحة، ومن الأذكار والأدعية التي جاءت بلفظ الحب في شؤون الصلاة والدعاء وفق نصوص الكتاب والسنة ما يلي:

(١) الذكر مع الأذان:

عند مسلم في صحيحه، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا. غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ ». قَالَ ابْنُ رُمَحٍ فِي رِوَايَتِهِ « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ وَأَنَا أَشْهَدُ ». وَلَمْ يَذْكُرْ قُتَيْبَةُ قَوْلَهُ وَأَنَا^(٣). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله: « من قال: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة، قال: ففرحت بذلك وسررت به »^(٤). ولقد فرح أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وسر محبة في هذا الفضل الموصل للجنة، ولعظيم هذا الذكر لزمه بعض الصحابة في مواقف الشدة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله (خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فقام على المنبر، فذكر الساعة؛ فذكر أن فيها أموراً عظيماً، ثم قال: " من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل، فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي " فأكثر الناس في البكاء، وأكثر أن يقول: " سلوا "، فقام عبد الله بن حذافة السهمي، فقال: من أبي ؟ قال: " أبوك حذافة "، ثم أكثر أن يقول: " سلوني " فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً. فسكت. ثم قال: " عرضت علي الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط، فلم أر كالحير والشر "^(٥).

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، حديث رقم: ١٥٥٨ (١٣٢/٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ٢٠٢٢هـ، ج ٤، ص: ٥٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة-باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة، حديث رقم: ٨٧٧ (٤/٢).

(٤) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - باب من قال حين يصبح وحين يمسي رضيت بالله رباً...، حديث رقم: ٩٧٤٧ (٦/٩). و انظر: سنن أبي داود- كتاب الوتر- باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥٣١ (١/٥٦٢). قال الألباني: (إسناده صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي).

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب وقت الظهر عند الظهر، حديث رقم: ٥٤٠ (١١٣/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الفضائل-باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف ومالا يقع ونحو ذلك، حديث رقم: ٦٢٧٠ (٩٣/٧).

٢) أذكار الصباح والمساء:

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قال لأبيه: (أيا أبة) إني أسمعك تدعو كل غداة، اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت ثلاثاً، حين - يعني (تصبح) - وثلاثاً حين (تمسي). وتقول: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر تعيدها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين - يعني تُمسي - قال: نعم يا بني، إني سمعت رسول الله يدعو بهنّ، فأنا أحب أن أستن بسنته. قال عباس رضي الله عنهما^(١) فيه: وتقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأَحَبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ». قال وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَعَوَاتِ الْمَكْرُوبِ. اللَّهُمَّ رَحِمَتِكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ.^(٢)

٣) فضل التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ. فَقَالَ «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٤).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَادَهُ وَأَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ»^(٥).

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: " إن الذي تذكرون من جلال الله، وتسبيحه، وتحميده، وتقليله تتعطف حول العرش، لمن دوي ، كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن لا يزال

(١) عباس بن عبد العظيم بن إسماعيل العنبري، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم: ٥٠٩٢ (٤/٤٨٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين - حديث أبي بكرة، حديث رقم: ٢٠٤٣٠ (٧٥/٣٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء حديث، رقم: ٧٠٢٢ (٨/٧٠).

(٤) انظر: صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل سبحان الله وبحمده، حديث رقم: ٧١٠٢ (٨/٨٦).

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات - باب أي الكلام أحب إلى الله، حديث رقم: ٣٥٩٣ (٥/٥٧٦). وانظر: مسند الإمام أحمد- مسند الأنصار - حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٢١٥٢٩ (٤٢١/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

له عند الله شيء يذكر به ؟" (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً» (٢).

٤) الأدعية الجامعة والفاضلة:

من فقه المسلم أن يختار من الأدعية المأثور منها، وأن يجعل دعاءه جامعاً، وألا يعتدي في دعائه وطلبه، فقد ثبت عدم جواز الاعتداء في الدعاء، عن مولى لسعد: « أن سعداً رضي الله عنه سمع ابناً له يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحواً من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً، وتعوذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ هذه الآية (ادْعُوا رَبَّكُمْ خَوْفًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) وإن حسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل» (٣). والسنة في الدعاء أن يحمد الداعي الله ويثني عليه بما هو أهله ويصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما يحب ويرجو، ومن ذلك أن يسأل الله محبته، وما يقرب إلى حبه، و الجنة، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نترأى عين الشمس، فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجاوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا: على مصافكم كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، أي قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي فاستثقلت فإذا أنا بري تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: لا أدري رب، قالها ثلاثا، قال: فرأيتني وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات، قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات

(١) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب الأدب- باب فضل التسييح، حديث رقم: ٣٨٠٩ (٥/٥٦٣). صححه الألباني. انظر: مسند أحمد- مسند الكوفيين - حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، حديث رقم: ١٨٣٨٨ (٣٠/٣٣٧) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب العلم- باب في القصص، حديث رقم: ٣٦٦٩ (٣/٣٦٣). حسنه الألباني.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٥٨٤ (٣/١٤٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمي، وإذا أردت فتنة قوم، فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حق فادرسوها ثم تعلموها (١). ومن جوامع الدعاء أن يسأل الداعي العافية، وهي من أحب المسائل، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله «ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية» (٢).

٥) الدعاء بأسماء الله الحسنى:

إن من لوازم الفقه في الدين، السعي بإخلاص في طلب العلم، وخاصة العلم الذي يعرف به المسلم، كيف يتقرب إلى الله ويعبده، ومن ذلك العلم بمعاني الدعاء، ومن يدعو، والطرق الشرعية في الدعاء، ودعاء الله بأسمائه الحسنى (٣)، قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٤) وعن أبي موسى الأشعري، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرْفًا وَلَا نَهْطُ وَاذِيًا، إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا، وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (٥).

الركن الثالث: الزكاة

الزكاة في اللغة: النمو والزيادة، وأصلها من (زكي) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((زكي)) الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم: سُميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سُميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (٦) والأصل في ذلك كله راجع إلى

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ -باب ومن سورة ص، حديث رقم: ٣٢٣٥ (٣٦٨/٥). صححه الألباني.

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٥١٥ (٥٣٥/٥). ضعفه الألباني. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) انظر: توحيد الأسماء والصفات في الباب الأول- الفصل الثالث- المطلب الأول.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث أبي موسى الأشعري، حديث رقم: ١٩٥٩٩ (٣٧٤/٣٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) سورة التوبة: ١٠٣.

هذين المعنيين، وهما التَّماء والطهارة^(١) ولذا سمي المال المخرج في الإنفاق الشرعي منه زكاة؛ لأن المنفق أراد أن يزيد ماله ويطهر وبقية من الآفات.

والزكاة شرعا: حق يجب في المال، قال الزركشي في تعريفها: (وفي عرف الشرع اسم لإخراج شيء مخصوص، من مال مخصوص، على وجه مخصوص)^(٢) والشيء المخصوص هو مقدار الزكاة من المال ويختلف باختلاف الأموال التي تجب فيها الزكاة كالنقدين - الذهب والفضة - وبهيمة الأنعام والزرع والثمار، وعروض التجارة وغيرها، والوجه المخصوص قد حدده أهل الفقه في ثمانية أصناف من قول الله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيَّهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)^(٣) فقد فرض الله تعالى الزكاة، وثبتت فرضيتها بنصوص الكتاب والسنة، وقرن الأمر بأداء الزكاة وإقام الصلاة في القرآن الكريم في مواضع عديدة، قال الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(٤)، وقد أمر الشارع في الزكاة أن يؤخذ من وسط المال، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً {تُؤْخَذُ} مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ^(٥). قال النووي في شرح صحيح مسلم: (وفيه بيان عظم تحريم الظلم وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوى الله تعالى ويبالغ في نهيمهم عن الظلم ويعرفهم قبح عاقبته وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة بل يأخذ الوسط ويحرم على رب المال إخراج شر المال)^(٦) وكرائم المال أفضله وأحسنه، ولكن إذا أراد صاحب المال أن يدفع الزكاة من كرائم ماله طوعا واحتسابا للأجر فلا

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣، ص: ١٧.

(٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٣٤٦.

(٣) سورة التوبة: ٦٠.

(٤) سورة البقرة: ١١٠.

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم: ٧٣٧٢ (٩/١١٤). وانظر صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث رقم: ١٣٢ (١/٣٨).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١، ص: ١٩٧.

يرد^(١)، وكذلك الصدقة العامة فقد حث الشارع على الإنفاق من المال الطيب المحب لصاحبه، قال الله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)^(٢) ولما نزلت هذه الآية بادر الصحابة الكرام رضوان الله عليه بالإنفاق مما يحبون من أموالهم، بل من أحبها، ومنهم أبو طلحة وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب، فعند مسلم في صحيحه، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَصَبْتُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ: أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصَبْ مَالًا أَحَبَّ إِلَيَّ وَلَا أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهَا، وَسَأَقُ الْحَدِيثَ بِمَثَلِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ، وَالْحَدِيثُ هُوَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمُرُهُ فِيهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصَبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ « إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا » . قَالَ فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يَبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُبْتَاعُ وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ . قَالَ فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَيَّ مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ)^(٣).

وقال الله تعالى: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)^(٤) إن محبة المال فطرية في نفس الإنسان، حيث جبل على حب التملك، وبذلك جاءت أوامر الشريعة مقررة ومبينة للصواب في حال الإنسان مع المال حبا وإمساكا، ونفقة وكرما، وصدقة وزكاة وكسبا وعطاء، قال الله تعالى: (فَقَاتِلْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)^(٥) حين يصرف المرء المال يعد في حال إنفاق، ولكن الغاية هي المعول عليه في القبول والأجر، وهنا في هذه الآيات الكريمة، فرق الشارع بين الربا والزكاة في الغاية، فإن المنفق ليزداد ماله بما ينفق من صدقات أو هبات يرجو أكثر منها، ومن ينفق ماله مخلصا لله يريد الثواب والأجر فهؤلاء المخلصون سوف يضاعف لهم أجر ما أنفقوا ويزاد في مالهم بركة وخيرا بما أخلصوا ويحظوا بالنعيم، قال القرطبي في تفسيره: (وفي معنى المضعفين قولان: أحدهما: أنه تضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا. والآخر: أنهم قد أضعف لهم الخير والنعيم)^(٦) والمال في حكم الإسلام يكون على وجهين:

(١) فقد قيل النبي ﷺ من صاحب الإبل فوق استحقات نصابه، حين نفذها تطوعا ورغبة في الأجر.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الشروط - باب الشروط في الوقف، حديث رقم: ٢٧٧٢ (٤/١٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الوصية - باب الوقف، حديث رقم: ٤٣١١ (٥/٧٣).

(٤) سورة الفجر: ٢٠.

(٥) سورة الروم: ٣٨ - ٣٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٤، ص: ٣٩.

الوجه الأول: مجالات الكسب

المال مال الله، هو الذي سخر الأرض بما فيها، لتعمر بعبادته إلى أجل مسمى، وأعطى الإنسان جميع المقدرات التي يعيش بها في تحقيق هذه الغاية، ومن ذلك الأموال في شتى صورها من الممتلكات، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيرهم الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياها فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب و التجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: {وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} فالسعي في السبب لا ينافي التوكل)^(٢) وأوجه الكسب في الإسلام قامت على أصلين: حب الفرد للمال وحقه في التملك، وحب الآخرين للمال وحقهم في التملك، وجعلت الموازنة بين هذين الأصلين مقياساً في جلب النفع و دفع الضرر للفرد والمجتمع؛ فقد حرم الإسلام كل أوجه الكسب التي ينبثق منها الظلم كالربا والسرقة أو ينتج عنها الفساد كالبيع المحرم، لأن الظلم والفساد من الأعمال المنافية للمحبة بين البشر، وموصلة للكفر والإثم الذي لا يستحق بهما المرء محبة الله، قال الله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْبُغْيَ وَالصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)^(٣) وجعل الشارع البيان والاختيار أصل في البيع؛ لأن بهما تصلح العلاقات بين المتبايعين وتفشو المحبة، ويأخذ كل ذي حق حقه، عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَنْفَرَقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُرُوكَ لهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)^(٤). ونهى عن الغش الذي يطفئ المحبة وتنتشر به العداوة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »^(٥). فالتجارة المباحة من البيوع مجال من مجالات الكسب المقررة في الإسلام إضافة إلى الموارث والهبات والهدايا وغيرها بضوابطها الشرعية.

(١) سورة الملك: ١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ١٧٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب إذ بين البيعان ولم يكتما ونصحا، حديث رقم: ٢٠٧٩ (٥٨/٣).

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، حديث رقم: ٢٩٤ (٦٩/١).

الوجه الثاني: مجالات الإنفاق

إن إنفاق المال في الإسلام يكون في النفقات الخاصة كنفقة المرء على نفسه ومن يعول، أو النفقات العامة في خصوص ولاية الأمر لتأمين سبيل الحياة كإصلاح الطرق وما جرى مجراه ويكون في الصدقات الواجبة كالزكاة وزكاة الفطر، أو الصدقات العامة المندوب إليها ككفالة الأيتام وإطعام المساكين، وبناء المساجد وغيرها، ومحبة المرء للمال و محبته لرضوان الله والجنة والنعيم، تؤثر تأثيرا كبيرا في لزومه أوجه الحلال في الكسب والإنفاق، ومن أعظم ما يتعبد به المرء لله تعالى القيام بأركان الإسلام ومنها الإنفاق من ماله في الزكاة المفروضة، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

الركن الرابع: صوم رمضان

الصوم في اللغة من (صَوَمَ) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((صوم) الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان. من ذلك صَوْم الصَّائِم، هو إمساكُه عن مَطْعَمه ومَشْرَبه وسائر ما مُنِعَهُ)^(١) وعرفه العلماء لغة بقولهم: (الصيام لغة: مجرد الإمساك يقال للساكت: صائم لإمساكه عن الكلام ومنه: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}^(٢)).

وفي الشرع: الصيام: إمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص،

قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)^(٣) قال بدر الدين العيني: (وكانت فرضية رمضان في السنة الثانية من الهجرة قبل وقعة بدر، وقد قيل: إنه فرض في شعبان منها)^(٤) وقال الفقهاء^(٥) فصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات إجماعا. فإن هذه الفريضة هي الركن الرابع من أركان الإسلام، وتظهر فيها آثار المحبة عن غيرها من العبادات، كونها عبادة نفسية بدنية، يمنع الإنسان نفسه عن الموانع المحبة إليه من الطعام والشراب والجماع وما في معناها، بنفسه وبدنه، حيث يتجلى الإخلاص فيها، وتظهر الطاعة

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣، ص: ٣٢٣.

(٢) سورة مريم: ٢٦.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى المعروف ببدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج ٢، ص: ٤٥٠.

(٥) الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١٥٧.

المخلصة من العبد لربه؛ فيحتلي بنفسه ولا يراه إلا الله، ولا يقدم على طعام ولا شراب وإن كان بين يديه، طاعة لله وإخلاصاً، ويكف نفسه من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس عن جميع المفطرات الشرعية، عبادة وقربة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الصَّيَّامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرُفُثُ، وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ أَمَرُوا قَاتِلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصَّيَّامِ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ^(١)). ولهذا الحديث ومثله، أحب الصائمون الصيام، لما فيه من الفضل والإحسان والأجر والثواب، فاجتهدوا في الصيام والقيام في شهر رمضان احتساباً، لما وعدوهم رب العزة والجلال، من مغفرة ما قدموا من الذنوب ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ^(٢)). وعظم عباد الله الصالحون ليلة القدر، وسألوا عن وقتها، عن زُرٍّ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ فَإِنْ صَاحِبَنَا ^(٣) سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ يَقُمِ الْحَوْلَ يُصِبِّهَا، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَاللَّهُ لَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ زَادَ مُسَدَّدٌ: وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يَتَّكِلُوا أَوْ أَحَبَّ أَنْ لَا يَتَّكِلُوا، ثُمَّ اتَّفَقَا: وَاللَّهُ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ لَا يَسْتَنِي. قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَنَّى عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ». قُلْتُ لَزُرٍّ: مَا الْآيَةُ؟ قَالَ: «تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِثْلَ الطَّسْتِ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ حَتَّى تَرْتَفِعَ» ^(٤) .

والثبت في وقت ليلة القدر، ما قرره علماء الشريعة بجمع الأدلة الواردة في هذه المسألة والجمع بينها، قال ابن حجر في الفتح: (قوله باب تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره لا في ليلة منه بعينها وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها وقد ورد ليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي، منها في صحيح مسلم عن أبي بن كعب: أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها، وفي رواية لأحمد من حديثه مثل الطست ^(٥)). ومن قول ابن حجر وغيره من العلماء أن ليلة القدر بشوت الأدلة المتنوعة في تحديد ليلتها، أنها تنتقل بين الليال الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٩٤ (٢٤/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضل ليلة القدر - باب فضل ليلة القدر، حديث رقم: ١٩٠١ (٢٦/٣). انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث رقم: ١٨١٧ (١٧٧/٢).

(٣) أي: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب شهر رمضان - باب في ليلة القدر، حديث رقم: ١٣٨٠ (٥٢٢/١). حسنه الألباني.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٤، ص: ٢٦٠.

ولأفضلية الصيام في العبادة من غير الفريضة - صيام رمضان - ثبت في السنة النبوية من صيام التطوع كثير من النوافل، كصيام يومي الاثنين والخميس من أيام الأسبوع، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وصيام يوم عاشوراء من شهر الله المحرم، وأيام منه، وأيام من شهر شعبان، وستة أيام من شهر شوال، وأحب وأفضل صيام التطوع صيام داود عليه السلام وهو صيام يوم وإفطار يوم، والصيام المطلق تعبداً لله في أي يوم من العام دون تخصيص ما لم يوافق نهي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ، عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً) ^(١) وإن نوى الصائم بصومه مخالفة اليهود والنصارى في أيام أعيادهم فله دليله الشرعي من السنة عملاً وقولاً، عن ابن عباس، بعث إلى أم سلمة وإلى عائشة يسألهما ما كان رسول الله يحب أن يصوم من الأيام؟ فقالتا: ما مات رسول الله حتى كان أكثر صومه يوم السبت والأحد ويقول: هما عيدان لأهل الكتاب فنحن نحب أن نخالفهم ^(٢). والصيام عبادة نفسية بدنية يرهق فيها البدن، بترك مصادر قوته من الأكل والشرب، ويعد علاجاً لشهوة النفس وكبح جماحها، وتربية لها بالإحساس لما عليه الفقراء والمساكين من الجوع، فتبذل الطعام والشراب في سبيل الله، وعلى المسلم أن يأخذ من نوافل هذه العبادة طاقته، ولا يكلفها عناء وجهداً، فقد أذن الشارع بالفطر في السفر ولمن وقع عليه مرض في صوم الفريضة، فصيام التطوع من باب أولى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ يَقُولُ: لَا قُومَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا صُومَ مِنَ النَّهَارِ مَا عَشْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَتَمْ وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ. قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ. فَقُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَصُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ. قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو لَأَنَّ أَكُونَ قَبْلَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامِ النَّبِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي» ^(٣). وصيام التطوع هو بمثابة الصدقة المستحبة من المال، له من الأحكام الخاصة، ما ليس للفريضة، والمسلم إن شاء أتم صيامه أو أفطر، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل علي رسول الله يوماً فقال: «هل عندكم شيء؟» فقلت: لا قال: فإني صائم ثم مر بي بعد ذلك اليوم وقد أهدي لنا حيس فخبأت له منه. وكان يحب الحيس. قلت يا

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب فضل الصوم في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٤٠ (٢٦/٤). انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، حديث رقم: ٢٧٦٩ (٢٨٠/٣).

(٢) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الصيام - باب صيام يوم الأحد، حديث رقم: ٢٧٨٨ (٢١٤/٣). قال شعيب الأرنؤوط على صحيح ابن حبان: إسناده حسن.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، حديث رقم: ٢٧٨٦ (١٦٢/٣).

رسول الله: إنه أهدي لنا حيس فخبأت لك منه. قال: أدنيه أما إني قد أصبحت وأنا صائم فأكل منه ثم قال: إنما مثل صوم التطوع مثل الرجل يخرج من ماله الصدقة فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها»^(١).

الركن الخامس: الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا

الحج في اللغة: من (حَجَج) أورد الجوهري في الصحاح: (الحَجُّ: القصد. ورجل مَحْجُوجٌ، أي مقصود. وقد حَجَّ بنو فلان فلاناً، إذا أطالوا الاختلاف إليه. هذا الأصل، ثم تُعَوِّفَ استعماله في القصد إلى مكَّة للنسك. تقول: حججت البيت أحجُّه حَجًّا، فأنا حاجٌّ. ويُجمَعُ على حُجٍّ. والحجُّ بالكسر: الاسم. والحجَّةُ المرَّةُ الواحدة، وهو من الشواذ، لأنَّ القياس بالفتح. والحجَّةُ: السنَّة، والجمع الحجَّج. وذو الحجَّة شهر الحج^(٢) وفرض الحج مرة في العمر، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ »^(٣)

والحج مرتبط بالطواف ببيت الله العتيق، قال الله تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢﴾) ويظهر أثر المحبة في الحج، من محبة المسلمين لأداء مناسك ركن الإسلام الخامس، كونه مرة في العمر فرضاً، ويأتون من أمكنة بعيدة ومتفرقة، متحملين عناء السفر وبذل المال في شوق إلى الطواف بالبيت العتيق وأداء شعائر الحج، قال الله تعالى: (الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٍ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأْتُوا إِلَى الْآلْبَابِ ﴿٥﴾) في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى أهل الحج خاصة بالاستزادة من التقوى، ونهاهم عن مظاهر الرفث والفسوق والجدال المنافية لما قد يصرف عن محبة الله وتعظيم شعائره، لأن الموقف كله موقف محبة، ومما يزيدهم محبة لبعضهم البعض، مشاعر الإيمان الفياضة برؤية البيت العتيق، ووحدة الزمان والمكان

والآلئب^(٥) في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى أهل الحج خاصة بالاستزادة من التقوى، ونهاهم عن مظاهر الرفث والفسوق والجدال المنافية لما قد يصرف عن محبة الله وتعظيم شعائره، لأن الموقف كله موقف محبة، ومما يزيدهم محبة لبعضهم البعض، مشاعر الإيمان الفياضة برؤية البيت العتيق، ووحدة الزمان والمكان

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال، حديث رقم: ٢٧٧٠ (١٥٨/٣). انظر: سنن النسائي - كتاب الصيام - باب النية في الصيام، حديث رقم: ٢٣٢١ (٥٠٦/٤). حسنه الألباني في إرواء الغليل.

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، مادة (حَجَج) .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم: ٣٣٢١ (١٠٢/٤).

(٤) سورة الحج: ٦٢ - ٢٧.

(٥) سورة البقرة: ١٩٧.

والغاية، وبعض المظاهر الموحدة، كمظهر اللباس للرجال، والمتشابه للنساء، ووحدة التنقل بين المشاعر في أوقات تكاد تكون واحدة، الاجتماع الواحد المهيّب على صعيد عرفة من كل الحجاج، ووحدة الذكر في التلبية، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ تَلْيِةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ)^(١). ووحدة التوحيد في إخلاص العبادة لله وحده، بإثبات الألوهية له دون سواه ونفيها عن غيره، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)^(٢). وللحج مناسك خاصة مفصلة في كتب الفقه حسب الأحكام الشرعية وأدلتها التفصيلية، والحج من أكثر العبادات أحكاماً، لتنوع المناسك بين الأفراد والتمتع والقران، وكذلك لتعدد المشاعر والعبادات في كل نسك، وهي: الإحرام من الميقات ثم الطواف بالبيت ثم السعي بين الصفا والمروة ثم الانتقال إلى منى يوم التروية، ثم الذهاب إلى عرفة، ثم المبيت بمزدلفة، ثم رمي جمرة العقبة والحلق والنحر، ومن ثم طواف الإفاضة ومن ثم المبيت بمنى ليالي أيام التشريق ورمي الجمرات الثلاث ثم الزوال، ومن ثم طواف الوداع. فإن هذه العبادات الكثيرة قد وردت نصوص من الكتاب والسنة في بيان أثر المحبة في شأنها بلفظ الحب أعرضها فيما يلي وفق ترتيب المناسك في الفعل وهي:

(١) الطيب في الإحرام:

الطيب من محبوبات النبي ﷺ وأحرم النبي ﷺ في حجة الوداع من ذي الحليفة، قال موفق الدين ابن قدامة في كتابه عمدة الفقه: (وميقات أهل المدينة ذو الحليفة^(٣)، وأهل الشام والمغرب ومصر الجحفة، واليمن يلملم، ولنجد قرن، وللمشرق ذات عرق، فهذه المواقيت^(٤) لأهلها، ولكل من يمر عليها، ومن مثرله دون

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب التلبية، حديث رقم: ٥٩١٥ (١٦٢/٧). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب التلبية ووقتها وصفتها، حديث رقم: ٢٨٦٨ (٧/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب في دعاء يوم عرفة حديث رقم: ٣٥٨٥ (٥٧٢/٥). حسنه الألباني.

(٣) روى البخاري في صحيحه - كتاب جزاء الصيد - باب دخول الحرم - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ وَقَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ وَلِأَهْلِ قُرْنِ الْمَنَازِلِ وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمُ فَهِنَّ لَهْنٌ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَمَنْ كَانَ ذُوْنَهُنَّ فَمَهْلُهُ مِنْ أَهْلِهِ وَكَذَلِكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يَهْلُونَ مِنْهَا.

(٤) ميقات أهل المدينة ذو الحليفة، والخلفاء نوع من الشجر، صغیرها يقال له حليفة. ويطلق عليها الآن أبيار علي، ويبعد عن المدينة ستة أميال أو سبعة، ما يقارب (٩) تسعة كيلو مترات، ويبعد عن مكة ما يقارب عشرة مراحل (٤٠٠) كيلو متراً. وميقات أهل الشام الجحفة، وهي قرية خربة سكنها العماليق واجتاحتها السيل وسميت بذلك، ويقال: لها مهيبة ومهيعة. وهذا الموضع خراب مهجور؛ ومن دعاء النبي ﷺ، الثابت في الجامع الصحيح للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، قال: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ. اللَّهُمَّ بَارِكْ بِنَا فِي صَاعِنَا فِي مُدُنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ)) فنقلت الحما إلى الجحفة فأصبحت وبيئة، ولذلك يتحاماها الناس ويحرمون بجذاتها من (رايع) فهو ميقات يبعد عن مكة خمس مراحل، وهو ما يقارب مائتين وكيло، وهو ميقات من جهة الغرب. وميقات أهل اليمن يلملم، وهو جبل معروف ويقال له (يرمرم) وأبدلت الراء لاما بلهجة اليمن (يلملم) ويقال إنه موضع السعدية الآن ويبعد عن مكة بمرحلتين، ما يقارب من ثمانين إلى خمس وثمانين كيلومتر. وميقات أهل نجد قرن المنازل. يقال له: قرن الثعالب، وهذا الموضع يسمى الآن بالسيل الكبير،

الميقات فميقاته من منزله، حتى أهل مكة يهلون منها حجهم، ويهلون للعمرة من أدنى الحل، ومن لم يكن طريقه على ميقات؛ فميقاته حذو أقربها إليه، ولا يجوز لمن أراد دخول مكة تجاوز الميقات غير محرم إلا لقتال مباح وحاجة تتكرر كالحطاب ونحوه، ثم إذا أراد النسك أحرم من موضعه، وإن جاوزه غير محرم رجع فأحرم من الميقات ولا دم عليه؛ لأنه أحرم من ميقاته، فإن أحرم من دونه فعليه دم سواء رجع إلى الميقات أو لم يرجع (١) ومن سنن الإحرام الطهارة والطيب، عن محمد بن المنتشر (٢) عن أبيه، قال: سألت عائشة فذكرت لها قول ابن عمر رضي الله عنهما: « ما أحبُّ أن أصبحَ مُحْرِمًا أَنْصَحُ طَيِّبًا، فقالت عائشة: أنا طَيِّبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا (٣). ومقولة ابن عمر رضي الله عنهما كون الطيب من محظورات الإحرام، ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم: (قوله ﷺ) (ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه الزعفران ولا الورس) (٤) أجمعت الأمة على تحريم لباسهما لكونهما طيباً وألحقوا بهما جميع أنواع ما يقصد به الطيب وسبب تحريم الطيب أنه داعية إلى الجماع، ولأنه ينافي تذلل الحاج فإن الحاج يقدم على مكة أشعث أغبر من أثر السفر، وسواء في تحريم الطيب الرجل والمرأة وكذا جميع محرمات الإحرام سوى اللباس كما سبق بيانه، ومحرمات الإحرام سبعة اللباس بتفصيله السابق، والطيب وإزالة الشعر والظفر ودهن الرأس واللحية وعقد النكاح والجماع وسائر الاستمتاع حتى الاستمناء والسابع إتلاف الصيد والله أعلم (٥) والذي عليه الجمهور من العلماء سنية الطيب عند الإحرام وهو أحد محظورات الإحرام بعد الدخول في النسك إلى أن يحل الحاج من إحرامه بعد اثنين من ثلاث الرمي والنحر وحلق يوم النحر، قال النووي في باب استحباب الطيب قبل الإحرام في البدن واستحبابه بالمسك في شرحه صحيح مسلم، عند حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِحُرْمِهِ حِينَ أَحْرَمَ وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ

ويبعد عن مكة بمرحلتين، ما يقارب خمس وثمانين كيلومترا، وهو ميقات أهل نجد ومن جاء من طريقه من أهل الخليج. وميقات أهل المشرق ذات عرق، والعرق هو الجبل، وهذا الجبل هو المنقطع عن قمامة وابتداء نجد ويسمى بالضريبة ويقال الخريبات، وهو يبعد مرحلتين أيضا ما يقرب خمس وثمانين كيلومترا، هذا الميقات هو ميقات أهل العراق.

(١) العدة شرح العمد (عمدة الفقه، لموفق الدين بن قدامة المقدسي)، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بماء الدين المقدسي، تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ج ١، ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) المنتشر بن الأجدع الهمداني، أخو مسروق، قال البغوي: لا أدري له صحة أو لا، وذكره ابن شاهين في الصحابة، قال ابن أبي حاتم قلت لأبي معشر: المنتشر رأى النبي ﷺ؟ قال: لا أدري. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (٢١١/٦) هو منتشر والد محمد بن المنتشر، روى عنه ابنه محمد بن المنتشر هو جد إبراهيم بن محمد بن المنتشر. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧١٠/٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الغسل - باب من تطيب ثم اغتسل وبقي أثر الطيب، حديث رقم: ٢٧٠ (٦٢/١). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم: ٢٨٩٩ (١٢/٤).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب ما لا يلبس المحرم من الثياب، حديث رقم: ٥٨٠٣ (١٤٤/٧). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه، حديث رقم: ٢٨٤٨ (٢/٤).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ج ٨، ص: ٧٥.

بِالْيَتِّ^(١). قال: (والمراد بحرمه الإحرام بالحج وفيه دلالة على استحباب الطيب عند إرادة الإحرام وأنه لا بأس باستدامته بعد الإحرام وإنما يحرم ابتداءه في الإحرام وهذا مذهبنا وبه قال خلائق من الصحابة والتابعين وجماهير محدثين والفقهاء)^(٢).

٢) الإهلال بالعمرة والحج:

صنف الفقهاء أنساك الحج إلى ثلاثة أنواع من النسك: الأفراد والتمتع والقران. عن عائشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله ﷺ مُوافينَ لَهلالِ ذي الحِجَّةِ، فقال لنا: من أحبَّ منكم أن يُهَلَّ بالحجِّ فليُهَلِّ، ومن أحبَّ أن يُهَلَّ بعمرة فليُهَلِّ بعمرة، فلولاً أُنِي أَهْدَيْتُ لِأَهْلَتِي بعمرة. قالت: فمنا من أهلَّ بعمرة، ومنا من أهلَّ بحجٍّ، وكنتُ من أهلَّ بعمرة، فأظَلَّنِي يَوْمَ عَرَفَةَ وَأَنَا حَائِضٌ، فَشَكَّوتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ارْفُضِي عِمْرَتَكَ، وَانْقُضِي رَأْسَكَ وَامْتَشِطِي، وَأَهْلِي بِالْحَجِّ. فلما كان ليلة الحَصْبَةِ أَرْسَلَ مَعِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّعِيمِ، فَأَهْلَلْتُ بعمرة مكانَ عِمْرَتِي^(٣). قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لزاد المستقنع: (وقوله: «وأفضل الأنساك التمتع» الدليل على هذا: أولاً: أن النبي ﷺ «أمر أصحابه حين فرغوا من الطواف والسعي أن يخلوا، ويجعلوها عمرة إلا من ساق الهدي»، وكان من ساق الهدي في تلك الحجة قلة، وقد حتم الرسول ﷺ على أصحابه حيث قال حين أكمل السعي: «من لم يسق الهدي ليَجْعَلْهَا عَمْرَةً»، وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولأحللت معكم» وراجع الصَّحَابَةَ فِي ذَلِكَ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَجْعَلُهَا عَمْرَةً، وَقَدْ سَمِينَا الْحَجَّ - أَي: لَبِينَا بِالْحَجِّ - قَالَ: «افْعَلُوا مَا أَمَرَكُم بِهِ»، حَتَّى أوردوا عليه مسألة يُسْتَحْيَا مِنْهَا، وَلَكِنْ حَمَلَهُمْ مَا فِي نَفُوسِهِمْ عَلَى إِيْرَادِهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَخْرُجُ إِلَى مَنْى وَذَكَرَ أَحَدُنَا يَقْطُرُ مَنِيًّا - أَي: مِنْ جَمَاعِ أَهْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ سَيَحْلُونَ الْحُلَّ كُلَّهُ - وَلَكِنْ الرَّسُولُ ﷺ أَبَى إِلَّا أَنْ يَحْتَمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلُوهَا عَمْرَةً، فَجَعَلُوهَا عَمْرَةً إِلَّا مِنْ سَاقِ الْهَدْيِ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَمَتَّعَ؛ لِأَنَّ مِنْ سَاقِ الْهَدْيِ لَا يَحِلُّ إِلَّا يَوْمَ الْعِيدِ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ التَّمَتُّعُ. ثَانِيًّا: لِأَنَّهُ - أَي: التَّمَتُّعُ - أَكْثَرُ عَمَلًا. ثَالِثًا: لِأَنَّهُ أَسْهَلُ عَلَى الْمَكْلُوفِ غَالِبًا. وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الْأَنْسَاكِ التَّمَتُّعُ»، أَفَادَنَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجُوزُ مَا سِوَى التَّمَتُّعِ، وَأَنَّ التَّمَتُّعَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَهَذَا رَأْيُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٤).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب الطيب بعد رمي الجمار والحلق قبل الإفاضة، حديث رقم: ٥٩٣٠ (١٦٤/٧). انظر:

صحيح مسلم - كتاب الحج - باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم: ٢٨٨١ (١٠/٤) ..

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٨، ص: ٩٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب العمرة - باب العمرة ليلة الحَصْبَةِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ١٧٨٨٣ (٣/٣).

(٤) الشرح المتنع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨ هـ، ج ٧، ص ٧٦ - ٧٧.

٣) اليسر في مناسك الحج:

يقوم نسك الحج على أربعة أركان كما قرره أهل الفقه، قال ابن الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة: (وأما أركان الحج فهي أربعة: الإحرام وطواف الزيارة ويسمى طواف الإفاضة. والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وهذه الأركان لو نقص واحد منها بطل الحج باتفاق ثلاثة من الأئمة وقال الحنفية: إن له ركنين فقط فانظر مذهبهم تحت الخط) الحنفية قالوا: للحج ركنان فقط وهما الوقوف بعرفة ومعظم طواف الزيارة وهو أربعة أشواط وأما باقية وهو الثلاثة الباقية المكملة للسبعة فواجب كما سيأتي وأما الإحرام فهو من شروط الصحة كما تقدم والسعي بين الصفا والمروة واجب لا ركن). الشافعية قالوا: أركان الحج ستة: هي الأربعة المذكورة في أعلى الصحيفة وزادوا عليها ركنين آخرين: وهما إزالة الشعر بشرط أن يزيل ثلاث شعرات كلاً أو بعضاً من الرأس لا من غيره، ويشترط أن يكون ذلك بعد الوقوف بعرفة، وبعد انتصاف ليلة النحر في الحج. وترتيب معظمهم الأركان ويشترط أن يكون ذلك بعد الوقوف بعرفة وبعد انتصاف ليلة النحر في الحج، وترتيب معظم الأركان الخمسة بأن يقدم الإحرام على الجميع والوقوف على طواف الإفاضة والحلق والطواف على السعي إن لم يفعل السعي عقب طواف القدوم^(١) هذه أركان الحج التي لا يقوم ولا يصح إلا بها، قال الله عز وجل : (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ أَلْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ نَسِكِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)^(٢) وأعمال الحج مصنفة في كتب الفقه على أركان وواجبات وسنن ومندوبات، وحكم العموم فيها أن الركن لا يصح الحج إلا به ويجبر نقصان الواجب بدم، وللحج أحكام عديدة كما أسلفنا في المخطورات، والزمان والمكان والأعمال، ومن أثر الحجة في أعمال الحج أنه قام على اليسر ورفع الحرج، ومن أدلة ذلك، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمَنْىَ لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَقَالَ أَذْبَحْ، وَلَا حَرَجَ فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ أَرْمِ، وَلَا حَرَجَ فَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ، وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ، وَلَا حَرَجَ)^(٣). ومن شعائر الحج المبيت بمزدلفة ليلة يوم النحر ومن ثم الدفع منها مع سفور صبح يوم العيد، وقد أذن رسول ﷺ للنساء والضعفة بالدفع منها بعد منتصف الليل - أي قبل الناس - لرفع الحرج عنهم من

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن محمد الجزيري. مصر: مطابع الشعب، ١٣٨٠ هـ، ج ١، ص: ٣٥٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩٨ - ٢٠٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب العلم-باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، حديث رقم: ٨٣(١/٢٨).

الزحام وغيره، عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَةَ رَسُولَ اللَّهِ لَيْلَةَ الْمُزْدَلِفَةِ. تَدْفَعُ قَبْلَهُ. وَقَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ وَكَانَتْ امْرَأَةً ثَبُطَةً. (يَقُولُ الْقَاسِمُ: وَالثَّبُطَةُ الثَّقِيلَةُ) قَالَ: فَأَذِنَ لَهَا. فَخَرَجَتْ قَبْلَ دَفْعِهِ. وَحَبَسْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا فَدَفَعْنَا بِدَفْعِهِ. وَلَئِنْ أَكُونُ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا اسْتَأْذَنْتُهُ سَوْدَةُ، فَأَكُونُ أَدْفَعُ بِإِذْنِهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ^(١). أورد السندي في حاشيته على صحيح البخاري: (المفروح به: كل شيء معجب له بال بحيث يفرح به كما جاء في غير هذا أحب إلي من حمر النعم انتهى. ومرادها أنها كانت بعده ﷺ على ما فعلت معه، وقد ثقل عليها الدفع مع الإمام لكنها ما تركت لكونها فعلت ذلك معه صلى الله تعالى عليه وسلم، فتمنت لذلك أنها لو استأذنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدفع قبله لفعلت كذلك بعده أيضاً، فصار ذلك سبب للراحة أيضاً في حقها، قال عبد الله الأبي: قال الأصوليون: ذكر الحكم عقيب وصف مناسب يشعر بكونه علة، وقول عائشة هذا يدل على أنه لا يشعر بكونه علة؛ لأن لو أشعر به ما أرادت ذلك لاختصاص سودة بذلك الوصف، إلا أن يقال إن عائشة نفحت المناط ورأت العلة إنما هي الضعف لا خصوص ثقل الجسم، ويحتمل أنها قالت ذلك لأنها شركتها في الوصف، لما روى أنها قالت سأقت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسبقته، فلما ربيت اللحم سبقني^(٢))

٤) الأضحية:

قال الله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ تميز عيد الأضحى عن عيد الفطر بأعمال منها النحر، وهذا العمل من أجل الأعمال المقربة إلى الله تعالى في هذا اليوم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ بِهَدْيٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْهَدْيُ الَّذِي قَدِمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ مِائَةَ بَدَنَةٍ فَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، وَنَحَرَ عَلِيٌّ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ، وَأَشْرَكَ عَلِيٌّ فِي بُدْنِهِ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بَضْعَةً فَجُعِلَتْ فِي قِدْرِ فَطْبِخَتْ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا^(٤). فالحاج ينحر الهدى ويضحى، ويزبح وينحر المسلمون الأضاحي، وغاية العمل التقوى والإخلاص لله تعالى، قال الله تعالى (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ^(٥) وقد ضحى النبي ﷺ وساق الهدى ونحر بيديه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب من قدم ضعة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر، حديث رقم: ١٧٠٧. وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب استحباب تقديم دفع الضعة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليالي قبل زحمة الناس، حديث رقم: ٣١٧٨ (٤/٧٦).

(٢) حاشية السندي على صحيح البخاري، محمد بن عبد الهادي السندي المدني، الحنفي، الناشر: دار الفكر، ج ١، ص: ٢٣٣.

(٣) سورة الكوثر: ١ - ٣.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٠٠٩ (٤/٣٩). وانظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب المناسك - باب الأكل من لحوم الهدى، حديث رقم: ٤١٢٦ (٤/٢٠٩).

(٥) سورة الحج: ٣٧.

عَلَى صَفَاحِهِمَا^(١). والأضحية في حكم الفقهاء بين أنها واجبة كما عند أبي حنيفة، وبين أنها سنة مؤكدة عند غيره من الأئمة الأربعة، وهي من أحب الأعمال في يوم النحر عند المسلمين، لذا حرص عليها الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى وصالح المسلمين. والقيام بها محبب إلى النفس لأنها سنة الخليلين إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ، وعن عليّ ﷺ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه بكبشين فأنا أحب أن أفعله»^(٢). وقال محمد بن عبيد المحاربي في حديثه: ضحى عنه بكبشين واحد عن النبي ﷺ والآخر عنه، فقبل له: فقال: إنه أمرني فلا أدعه أبداً^(٣). وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «دم عفراء أحب إلي من دم سوداوين»^(٤). وذبح الأضاحي يكون بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبلها فهي لحم، ذبحه لنفسه ولم يصب أجر الأضحية، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ)^(٥)، وعنه أيضا، ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيُعَذِّبْهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: هَذَا يَوْمٌ يُشْتَهَى فِيهِ اللَّحْمُ، وَذَكَرَ مِنْ جِرَانِهِ، فَكَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَدَّقَهُ، قَالَ: وَعِنْدِي جَذَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتِي لَحْمٍ. فَرَحَّصَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَا أَدْرِي أَلْبَلَّغْتَ الرِّخْصَةَ مِنْ سِوَاهُ أَمْ لَا»^(٦). والأضحية تكون من بهيمة الأنعام، ومن شروطها أن تكون سليمة من العيوب البينة، كالعور والعرج والهزال وغيرها، وأن تكون في السن من الثاني فما فوق، ما عدا الضأن، فيجزئ الجذع منها، قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: (والعناق من المعز ابن خمسة أشهر أو نحوها ، وهو جذعة ، ولا يجوز في الضحايا بإجماع ، وإنما يجوز من المعز الثاني فما فوقه ، وهو ثني إذا تم له سنة ودخل في الثانية ، وإنما يجوز الجذع من الضأن فقط ، وهو ابن سبعة أشهر ، قيل : إذا دخل فيها . وقيل إذا أكملها . وعلامته أن يرقد صوف ظهره بعد قيامه ، وإذا كان كذلك قالت العرب : إنه قد أجذع . ولا يجوز من سائر الأزواج الثمانية من الأنعام إلا الثاني فما فوقه، فثني البقر إذا كمل له سنتان ودخل في الثالثة ، وثني الإبل إذا كمل له خمس سنين ودخل في السادسة)^(٧)

- (١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأضاحي-باب التكبير عند الذبح حديث رقم: ٥٥٦٤ (١٠٢/٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الأضاحي-باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير، حديث رقم: ٥١٩٩ (٧٧/٦).
- (٢) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٧٧ (٤٢٠/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف.
- (٣) انظر: سنن ابن داود-كتاب الضحايا-باب ما جاء في الأضحية عن الميت، حديث رقم: ٢٧٩٢ (٥٠/٣). وانظر مسند الإمام أحمد-مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم حديث رقم: ١٢٧٩ (٤٢١/٢). سكت عنه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف . وانظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم، حديث رقم: ٧٥٥٦ (٢٣٠/٤). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .
- (٤) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٩٤٠٤ (٢٣٥/١٥). شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف .
- (٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأضاحي-باب سُنَّةِ الْأُضْحِيَّةِ وَقَالَ ابْنُ عُثْمَانَ هِيَ سُنَّةٌ وَمَعْرُوفٌ، حديث رقم: ٥٥٤٦ (٩٩/٧).
- (٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب العيدين-باب الأكل يوم النحر، حديث رقم: ٩٥٤ (١٧/٢).
- (٧) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٦، ص: ٢١.

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق والمعاملات

المطلب الأول: أثر المحبة في الأخلاق

إن الأخلاق أوسع مجالات الدعوة، كونها تصاحب المسلم في ظاهره غالبا، عقيدة وعبادة ومعاملة، فهي بمثابة الوجه من الجسد، في نقل الصورة الصحيحة لشخصية المرء، فمنها يُحَبُّ ويُكْرَهُ، ويُقَيَّمُ بها في دينه ومبادئه، فمن واجب المسلم الالتزام بما جاء في الإسلام من سمو الأخلاق ومحاسن الأعمال، فقد دعا الإسلام في جميع أوامره إلى محاسن الأخلاق ونهى وحذر في جميع نواحيه من مساوئ الأخلاق، وجعل النبي ﷺ لمن حسن خلقه مكانا رفيعا، ومجلسا حميدا يوم القيامة، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا^(١). وعن جابر: أن رسول الله ﷺ، قال: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون^(٢). ومن أوسع الأخلاق خلق الحلم وهو سيد الأخلاق ويضاده الغضب وهو من أسوأ الأخلاق، وبالحلم يسود المرء ويكسب محبة الناس ومحبة الله، وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٣). والأناة من التأني وهي ضد العجلة، فكلما كان الإنسان في تَوَدَّةٍ سواء كان في مقاله أو فعالة، كلما كانت النتائج موفقة للصواب في الفعل والصدق في القول، وهذا توفيق من الله للعبد، أورد ابن حجر في الفتح (عند أحمد والنسائي والبخاري في الأدب المفرد وصححه ابن حبان أن النبي ﷺ، قال: إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة، قال: يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا؟ قال: قديما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما. فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب^(٤)) ومن المعلوم أن تجارب الحياة تثبت أن سعة العلم، ووسع الناس بالخلق الحسن من طلاقة الوجه والإحسان في المعاملة، أجدى من سعة الناس بالمال، فمع المال تكون الذلة، والنفس البشرية تأبأها، والمال يفنى ولا يبقى، ومع الأخلاق تكون الرفعة والتقدير الحسن، وتحب ذلك النفس وتطلبه، والخلق يبقى سجية وسمية ترافق الإنسان في حياته، وبعض الناس لا يدرك هذا الميزان حديثا وقديما، كما لم يدركه بنو إسرائيل في

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم: ٦٠٣٥ (١٣/٨).

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم: ٢٠١٨ (٣٧٠/٤). صححه الألباني.

(٣) انظر صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه حديث رقم: ١٢٧ (٣٦/١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ،

قصتهم مع طالوت في قتال أعدائهم قال الله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^(١)) وكذلك هو الميزان؛ فإن معاملة الناس بالخلق أجدى من معاملتهم بالمال فقط. وانقسام الخلق إلى قسمين: جبلي فطري، ومكتسب، يجعل الدعوة إلى الله في إدراك لما يمكن تعلمه من أخلاق واستعمالها في ميدان الدعوة إلى الله، وخاصة أننا نعيش في زمن وصف بطغيان المقاييس المادية على حياة الناس فارتفع المال على العلم، وسيطرت الشهوة على الجسد، وظهرت العاطفة على العقل، وابتعد الناس عن الدين الحق، فهم في حاجة لعملية إنقاذ بمحاسن الأخلاق وفضائل الأعمال تقودهم إلى الرجوع والأوبة إلى الله ولزوم الدين الحق المبين. فقد وسع النبي ﷺ المشركين وهم أهل ضلالة من أشد الضلالات، وعاداه من عاداه بأشد العداوات، وسعهم بالرحمة والحلم قال الله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ^(٢)) أورد ابن كثير في تفسيره قولين في معنى الرحمة: ({فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} أي: برحمة من الله. وقال الحسن البصري: هذا خلقُ محمد ﷺ بعثه الله به ^(٣)). وأثر المحبة في الأخلاق يظهر عموماً في محبة النبي ﷺ لمحاسن الأخلاق، ومحبتنا له ﷺ والافتداء به في خلقه، ومحبتنا للإسلام وواجب البلاغ لهذا الدين، مما يوجب علينا أن نصفه ونبلغه ونخلص الوصف له؛ بأنه دين التوحيد والحب والسلام والخلق الحسن، وأنه ليس كما يصفه الأعداء بأنه دين الضلالة والكرهية والإرهاب والهمجية، حيث وصفه الظالمون بذلك، قياساً على تصرف فرد أو جماعات، خرجت عن أصل الإسلام وخلقته. فوجب على أهل الإسلام الاهتمام بأمر الأخلاق في ميدان الأسرة أو ميادين التربية والتعليم و ميادين التدريب الاجتماعية، فإن الأخلاق تتغير وفق أصول العقائد ومبادئ الأفكار، والأفعال والأقوال ناتجة عن الأخلاق، ومن السنة كان يدعو نبينا محمد ﷺ بطلب الهداية لأحسن الأخلاق، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاعْفُ عَنِّي يَا ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبِّكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ١٤٨.

فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١). ووصفه الله تعالى بعظيم الأخلاق في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(٢) قال ابن القيم الجوزية مبينا دلالة الآية: (وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله فهماً، ولقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ فأجابت بما شفى وكفى، فقالت: كان خلقه القرآن فهم سائلها أن يقوم لا يسألها شيئاً بعد ذلك، ومن هذا قال ابن عباس وغيره: أي على دين عظيم، وسمى الدين خلقاً لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها، فهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً له وبيانياً، وعلومه علوم القرآن وإرادته، وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه، والجهاد في إقامته، فترجعت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول ﷺ وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: كان خلقه القرآن، وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى^(٣) فإذا علمنا هذا في خلق الرسول ﷺ أدركنا أن القرآن الكريم هو منبع الأخلاق الإسلامية، فإن الإسلام قائم على الكتاب والسنة، فإن خلق المسلم وصف شامل لما يصدر عن المسلم من استجابة لأوامر الشريعة، تظهر على شخصه في عبادته وأقواله ومعاملاته، وكلما أحب المسلم الكتاب والسنة والتزم بما فيهما؛ كانت أخلاقه عظيمة وأعماله حكيمة، ونفسه زكية طيبة، وفي هذا المبحث أعرض بعض نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بلفظ الحب موضحاً أثر المحبة في الأخلاق الواردة فيها وفق ما يلي:

(١) دفع الشهوات المحرمة :

إن شهوة البطن وشهوة الفرج هما الأثر الكبير في خلق المسلم؛ لما لهما من ارتباط بحياته، وكلاهما قائم على المحبة، فلا يمكن للإنسان العيش دون طعام وشراب، ولا تكتمل حياته دون قضاء وطره من زواج أو مما ملكت اليمين، ويظهر خلق المسلم في العفة والعفاف، فلا يقدم على أكل الحرام، أو الذلة بسؤال الناس ويعف نفسه بالصبر والقليل من الزاد، رغم حبه الشديد للمال، كما قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ^(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (أي: وإنه لحب الخير -وهو:

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه حديث رقم: ١٨٤٨ (٢/١٨٥).

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ، ص: ١٣٥.

(٤) سورة العاديات: ٦ - ٨.

المال-لشديد. وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال. والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح ^(١) ويظهر أثر المحبة في خلق المسلم أيضا في عفته، حين يبتعد عن الزنا لحرمة رغم هيجان الشهوة ومحبة لقضائها، فيمسك إربه استجابة لقول الله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) ^(٢) وهذا العفاف من صالح الأعمال التي روت في السنة، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي جَبَلٍ، فَأَنْحَطَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكَنتُ أَخْرُجُ فَأَرَعِي، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالْحَلَابِ فَأَتِي بِهِ أَبِي فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَسَبْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً تَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنتُ أَحَبَّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً. قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرْقٍ مِنْ ذُرَّةٍ، فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبِي ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَرَزَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى الْبَقَرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّمَا لَكَ. فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا. فَكُشِفَ عَنْهُمْ» ^(٣). وفي هذا الحديث من الدروس ما لا يمكن عرضه هنا، وأشير إلى الشاهد منه في موقف الحب لابنة عمه، حيث قطع أصل الشهوة بالعفة، في مكان يصعب قطعها طاعة لله وابتغاء وجه الله. وموقف جامع المال وحافظه لصاحبه الأجير، فيحرص على حق وأجرة الأجير وينميها ومن ثم يعف عن حقه في ذلك فلا يطلب عوضا عما قام به من نماء للمال وعناية، ويتخلى عن شهوة محبة المال عفة، ابتغاء وجه الله.

٢) حب المساكين :

وردت لفظ (المساكين) بالجمع والإفراد في القرآن الكريم ثلاثة وعشرين مرة وكلها في مجال الإطعام والإحسان إليهم، وهذان من فضائل الأخلاق، ومن دعائه ﷺ أن يحشر في زمرة المساكين، عن أنس رضي الله عنه:

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٨ ، ص: ٤٦٧.

(٢) سورة الإسراء: ٣٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي، حديث رقم: ٢٢١٥ (٧٩/٣).

أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة. فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة، أحي المساكين وقربهم، فإن الله يقربك يوم القيامة^(١). وليس المعنى هنا أن يدعو الإنسان على نفسه بالفقر والمسكنة، وإنما المعنى أن يدعو بالكفاف، أورد ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري هذا المعنى بقوله: (ولم يأت في الحديث، فيما علمنا، أن النبي ﷺ كان يدعو على نفسه بالفقر، ولا يدعو بذلك على أحد يريد به الخير، بل كان يدعو بالكفاف ويستعيد بالله من شرّ فتنة الفقر وفتنة الغنى، ولم يكن يدعو بالغنى إلا بشرطه يذكرها في دعائه. فأما ما روى عنه أنه كان يقول: « اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشرنى في زمرة المساكين ». فإن ثبت في النقل فمعناه ألا يجاوز به الكفاف، أو يريد به الاستكانة إلى الله، ويدل على صحة هذا التأويل أنه ترك أموال بني النضير وسهمه من فذك وخيبر، فغير جائز أن يظن به أن يدعو إلى الله ألا يكون بيده شيء، وهو يقدر على إزالته من يده بإنفاقه^(٢)) والفقر أشد حاجة من المسكين، والمسكين هو الذي لا يجد ما يسد حاجته، ومنهم من يتردد على الناس ويجد بعض حاجته، ومنهم من لا يعلم بحاله الناس لتعففه وعدم سؤاله إياهم، وهو المسكين بحق، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال « لَيْسَ الْمُسْكِينُ بِهَذَا الطَّوْفِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَرَدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ». قالوا فما المسكين يا رسول الله؟ قال « الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يَفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئاً »^(٣). وهذا الصحابي الجليل أبو هريرة ؓ يحدث عن مسكنته، وعن جعفر ؓ المكنى بأبي المساكين لجلوسه معهم وكثرة إطعامه إياهم، وهي خصلة من مكارم الأخلاق، عن أبي هريرة ؓ قال: « إِنْ كُنْتُ لَأَسْأَلَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَنِ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُ مَا أَسْأَلُهُ إِلَّا لِيُطْعِمَنِي شَيْئاً فَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يَجِبْنِي حَتَّى يَذْهَبَ بِي إِلَى مَتَرْلِهِ فَيَقُولُ لَأَمْرَأَتِهِ: يَا أَسْمَاءُ أَطْعِمِينَا فَإِذَا أَطْعَمْتَنَا أَجَابَنِي، وَكَانَ جَعْفَرُ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْنِيهِ بِأَبِي الْمَسَاكِينِ »^(٤). فمن أخلاق الداعية أن يحب المسكنة والمساكين، فإن كان من أهل الغنى والمال، كان عليه هذا لزوم الخلق أكثر من غيره في الإطعام، استجابة لأمر الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى في حق الأبرار من سورة الإنسان: (إِنَّ الْأَبْرَارَ

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم: ٢٣٥٢ (٤/٥٧٧). صححه الألباني.

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج١٩، ص: ٢٢٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة- باب المسكين الذي لا يجد عني ولا يفتن له فيتصدق عليه، حديث رقم: ٢٤٤٠ (٣/٩٥).

(٤) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧٦٦ (٥/٦٥٥). ضعفه الألباني.

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ (١) قال صاحب أضواء البيان في تفسير
القرآن بالقرآن: (قَوْلُهُ تَعَالَى: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. اختلف في مرجع
الضمير في على حبه، هل هو راجع على الطعام أم على الله تعالى؟ أي: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّ
الطَّعَامِ لِقَلَّتْهُ عِنْدَهُمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، أم على حُبِّ الله رجاء ثواب الله؟ وَقَدْ رَجَّحَ ابْنُ كَثِيرٍ الْمَعْنَى الْأُولَى،
وهو اختيار ابن جرير، وساق الشواهد على ذلك كقوله: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) [البقرة: ١٧٧]، وقوله
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران: ٩٢). والواقع أن الاستدلال الأول فيه ما في هذه الآية،
ولكن أقرب دليلًا وأصرح قوله تعالى: (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: ٩]. وفي الآية
التي بعدها في هذه السورة قرينة تشهد لرجوعه للطعام على ما تقدم، وهي قوله تعالى بعدها: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) [الإنسان: ٩]؛ لَأنَّهَا فِي مَعْنَى حُبِّ اللَّهِ، مِمَّا يَجْعَلُ الْأُولَى لِلطَّعَامِ
وَهَذِهِ لِلَّهِ. والتأسيس أولى من التأكيد، فيكون السياق: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَاجَتِهِمْ إِنْيَاهُ، وَلِوَجْهِ اللَّهِ
تَعَالَى. - واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ) (٢) ومن سمو تعاليم الإسلام وأخلاق هذا الدين العظيم أمر المسلم بصرف
أوجه الإحسان ومنه الإطعام - وهو هنا من دلالة الخاص على العام - إلى المسلم ومنه المسكين واليتيم
والأسير، وأحسن الإسلام إلى أعدائه فأمر بإطعام الأسير منهم بما يحفظ حياتهم ويحترم إنسانيتهم، ودعوة
هم إلى الدخول في هذا الدين، قال الطبري في تفسيره: (يعني جل ثناؤه بقوله مسكينًا: ذوي الحاجة الذين
قد أذلهم الحاجة، (ويَتِيمًا) وهو الطفل الذي قد مات أبوه ولا شيء له (وأَسِيرًا): وهو الحرابي من أهل
دار الحرب يُؤخذ قهرا بالغلبة، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحق، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم
هؤلاء تقربًا بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم) (٣).

٣) كظم الغيظ:

أصل الغيظ من (غيظ) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الغين والياء والطاء أصل فيه كلمة
واحدة، يدل على كَرْبٍ يلحق الإنسان من غيره) (٤) والكظم المنع والرد، وكظم الغيظ سجية لا يتحلى

(١) سورة الإنسان: ٥ - ٨.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ، ج ٨، ص: ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ٩٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، مادة (غيظ).

بها كل أحد، فإن مواقف الحياة المتعددة تجعل المرء يختلط بالناس، وهم أصحاب ثقافات وديانات مختلفة، وأمزجة وأحوال متغيرة، وهذه الخلطة تعرض المرء لحالات نفسية وأحكام خلقية يحكمها نوع الموقف وشخصية المرء وصفاته، وكظم الغيظ تظهر معنى الصبر وقد أثنى الله تعالى على الصابرين وأحبهم، وتظهر معنى الإحسان وقد أثنى الله على المحسنين وأحبهم، ومما يتميز به المسلم المحسن الخلق الحسن والتقوى، ومنها صفة كظم الغيظ، قال الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١) وتبين من الآية بعض أوجه الإحسان والتقوى _ وهما من الصفات المحبة لله تعالى _ في الآية: الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس وهي من أجمل وأحسن الأخلاق (وقال بعض أهل العلم: حُسْنُ الخلق: كظمُ الغيظِ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزَّالِين إلا تأديباً أو إقامة حدٍّ وكفُّ الأذى عن كلِّ مسلم أو معاهدٍ إلا تغييرَ منكر أو أخذاً بمظلمةٍ لِمُظْلومٍ من غير تعدٍّ)^(٢) ومن أسباب اكتساب كظم الغيظ، سيطرة العقل على العاطفة، وضبط النفس عند الغضب، والكظم هو منع الغضب ومسك النفس عن الانتصار أو المحاصمة أو المنازعة مع القدرة على فعل ذلك، والغيظ أصل الغضب، لا يظهر على الجوارح بفعل أو قول انتقامي، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل أو قول فيهما سطوة وقهر وانتقام، والمرء بالغضب يخسر ولا يكسب، في الصحة والعلاقات والمقامات، إلا ما كان من غضب مستحق كالغضب عند انتهاك حرمت الله، ونصح ﷺ بعدم الغضب فقال: (لا تغضب) وبين أن الغضب صفة غير محمودة، عن عبد الله ﷺ^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قال: قالوا يا رسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: اعلموا إنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، مالك من مالك إلا ما قدمت ومال وارثك ما أخرت » قال: وقال رسول الله ﷺ ما تعدون فيكم الصرعة ؟ قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: قال: لا، ولكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب، قال: وقال رسول الله ﷺ: « ما تعدون فيكم الرقوب ؟ قال: قلنا:

الذين لا ولد له، قال: لا، ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً »^(٤). والدعاة إلى الله في مواقف الحياة عرضة لما يغضبهم، سواء من جهلة الناس، أو من مغرض مترصد، أو من حاسد حاقد؛ فيجب عليهم التحلي بكظم الغيظ والعفو، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد وهو

(١) سورة آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ١٨١ - ١٨٢.

(٣) قول عبد الله في الحديث، أي: عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، حديث رقم: ٣٦٢٦ (١٢٩/٦).

يقول بيده: هكذا، - فأوماً أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض - من أنظر معسراً أو وضع له، وقاه الله من فيح جهنم، ألا أن عمل الجنة حزن بربوة ثلاثاً ألا أن عمل النار سهل بسهوة، والسعيد من وقى الفتن، وما من جرعة أحب إليّ من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً»^(١). (وروي عن ميمون^(٢) بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرققة عليه، فأراد ميمون أن يضر بها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى: " وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ " قال لها: قد فعلت. فقالت: أعمل بما بعده " وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ". فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: " وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ". قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى^(٣). وعلى المسلم أن يطفى حرارة الغضب وثورة الغيظ و هيجان النفس، بالاستغفار والاستعاذة من الشيطان والوضوء والصلاة، والانصراف عن مكان الموقف، وتغيير الوضع الشخصي من الوقوف إلى القعود، ومن القعود إلى الاضطجاع، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: تساب رجالان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما حتى تمزق أنفه من الغضب فقال رسول الله ﷺ « أما إني أعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »^(٤). وعن الحسن (قال: قال رسول الله ﷺ إن الغضب جمرة توقد في قلب بن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وإلى احمرار عينيه، فإذا وجد أحدكم ذلك فإن كان قائماً فليقعد وإن كان قاعداً فليتك، قال: وقال رسول الله ﷺ ما جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كتمها رجل أو جرعة صبر عند مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم في سبيل الله^(٥))

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٠١٥ (١٤٩/٥). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(٢) ميمون بن مهران الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي، أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرقة. وحدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، والضحاك ابن قيس وغيرهم، قيل: إن مولده عام موت علي رضي الله عنه سنة أربعين. وثقه جماعة، وقال أحمد بن حنبل: هو أوثق من عكرمة. قال أحمد العجلي والنسائي: ميمون ثقة. قال ابن سعد: ميمون يكنى أبا أيوب، ثقة، كثير الحديث. وقد خرج أرباب الكتب لميمون بن مهران سوى البخاري، فما أدري لم تركه؟ قال ابن سعد وأبو عروبة وغيرهما: توفي سنة سبع عشرة ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧١/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٠٧.

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب ما يقول عند الغضب، حديث رقم: ٣٤٥٢ (٥٠٤/٥). صححه الألباني.

(٥) انظر: شعب الإيمان للبيهقي - كتاب حسن الخلق - فصل في ترك الغضب وفي كظم الغيظ، حديث رقم: ٧٩٥٥ (٥٣٩/١٠). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦١١٤ (١٢٨/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

٤) صلاح الظاهر والباطن:

لقد جاءت تعاليم الشرع الحكيم بالموازنة بين الظاهر والباطن، وأعطت كل من الذكر والأنثى الحق المستحق له في الحياة، بما يناسب صفات ووظائف كل منهما، ومن أحسن ما يتوافق مع جلال المرأة، التحلي بالذهب ولبس الحرير والألوان الزاهية من الثياب، وهذا يتنافى مع شخصية الرجل في خلقه وخلقته، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من أحب أن يطوق حبيبه طوقاً من نار فليطوقه طوقاً من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه سواراً من نار فليسوره بسوار من ذهب، ومن أحب أن يخلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، ولكن عليكم بالفضة العبوا بها لعباً، العبوا بها لعباً ^(١). فمن حسن الخلق استقلال الشخصية بين الرجل والمرأة في الجمال والهيئة، ولهذا جاءت التعاليم الشرعية بمنع التشبه بين الرجال والنساء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ) ^(٢). هنا ندرك أمراً من أهم الأمور الهامة في التربية ألا وهو التوازن، الذي يعني أن ثمة اختلاف بين النساء والرجال فلا يطغى جنس على آخر في الصفات الجمالية المادية الظاهرة، ومحور الخلق الإسلامي للذكر والأنثى الاستجابة لأوامر الشرع ونواهيته في توجيه الخصوصية لكل منهما بما يناسب خلقه ووظيفته، وعبر عنها في الحديث بالتشبه الممنوع بين الجنسين، أما الصفات الجمالية المعنوية من الإيمان والصدق والأمانة والحلم والحياء والدعاء وحسن الخلق عموماً؛ فهي من المأمورات الشرعية للجنسين، سواء بسواء في الفعل والجزاء، قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ^(٣) والجمال محبوب للنفس إذا توافق مع صفاتها وفق مراد الشارع و يورث المحبة بين الناس، التي هي مطلوب لكل عاقل، ويورث العجب و الكبر الذي هو من أسوأ الأخلاق لما فيه من الصد عن الحق وظلم الناس، ومن الجمال لبس الثياب الحسنة والاهتمام بالهيئة ومس الطيب، فإن الله جميل يحب الجمال، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ » ^(٤). وكذلك يصلح المرء إذا صلح قلبه، وتطيب أخلاقه بحسن قوله، وسداد منطقته.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٤١٦ (١٤/١٤١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: رجاله ثقات.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، حديث رقم: ٥٨٨٥ (٧/١٥٩).

(٣) سورة النحل: ٩٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم: ٢٧٥ (١/٦٥).

٥) أدب المجلس:

إن المجالس الاجتماعية من ضرورات الحياة في البناء الاجتماعي، تقوم على الحاجة الملحة بين الناس في طلب المنفعة ودفع المضرة، يمثلها التعاون والمحبة، وهي صورة تظهر فيها الأخلاق والسجايا، ومن حسن خلق المسلم في المجالس أن يقدم على الناس بالسلام تحية الإسلام في دخوله، ويودع المجلس إذا خرج أيضا بالسلام، وهي كلمة عظيمة في معناها الذي يحث على المحبة والمسالمة ويبعث الطمأنينة، وعظيمة بعظم الإسلام المنافي للظلم والكرهية، وقد بين الشارع أنها من الأسباب الجالبة للمحبة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »^(١). وعليه أن يكون مظهرها لسلامه بلفظه و بمعناه، فلا يؤدي أحدا، ولا يكن كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه من اليهود وغيرهم من الفساق، فقد جاء الإسلام بمحبة المقسطين والחסنين ونبد الفحش والبغي والجهل، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَنَسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ « وَعَلَيْكُمْ ». قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً ». فَقَالَتْ مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا فَقَالَ « أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ »^(٢). وفي رواية أخرى: قَالَ: فَفَطَنْتُ بِهِمْ عَائِشَةَ فَسَبَّتُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَهْ. يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ». وَزَادَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} (المجادلة: ٨) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٣). والمسلم في مجلسه كغيره من الناس يحدث له من الأمور الجبلية كالعطاس وغيره، فعليه أداء السنة المشروعة فيه من التشميت وكف الأذى مما يخرج منه، أورد ابن حجر في الفتح (ومن آداب العطاس أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤدي جليسه ولا يلوي عنقه يمينا ولا شمالا لئلا يتضرر بذلك)^(٤) وكذا المسلم في مجلسه، إذا جاءه التثاؤب رده حسب استطاعته، ولا يكن كالذين يחדشون مكارم الأخلاق، بما يحدثونه من صوت مصاحب للتثاؤب، ينفر الناس من حوله ويضحك به الشيطان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمْعَهُ أَنْ يَشْمَتَهُ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لخصولها، حديث رقم: ٢٠٣ (٥٣/١)

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم: ٥٧٨٦ (٤/٧).

(٣) سورة المجادلة: ٨.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم: ٥٧٨٧ (٥/٧)

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

الشیطان. فليُرَدِّه ما استطاع، فإذا قال: هاء ضحك منه الشيطان»^(١). وفي المجالس على المسلم أن يجلس مع الصالحين فإنه يتخلق بأخلاقهم، من التقوى والصلاح ويتزود بالعلم، وبهذه المرافقة والمجالسة، يكسب مرافقتهم يوم القيامة، كما جاء في الخبر من حديث صفوان بن عسال: (قَالَ النَّبِيُّ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢). وقال الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)^(٣) قال^(٤) الإمام الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم *** لعلي أن أنال بهم شفاعته

وأكره من تجارته المعاصي *** ولو كنا سواء في البضاعة

٦) الغيبة من مساوئ الأخلاق:

لقد حث الإسلام على التأخي والتآزر والصفاء والحب، وبما يوطد العلاقات بين المسلمين وينشر المودة بينهم، وحذر من الفرقة ومنع السيل الموصلة إليها، ومن ذلك الغيبة والنميمة فإنهما من مفسدات الصلوات ومن مساوئ الأخلاق؛ لما لهما من أثر في زرع العداوة المنافية للمحبة ونشر الفتنة المنافية للألفة، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)^(٥) والغيبة كما عرفها أهل العلم واضحة المعنى من قول النبي ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذَكَرْتُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ». قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَيْبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ »^(٦). تدخل الغيبة مع النميمة، حيث هي القالة بين الناس ونقل الكلام على وجه الإفساد، وجاء الخبر في السنة أنها مانعة من دخول الجنة عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُذَيْفَةَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ - إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ »^(٧).

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التأؤب، حديث رقم: ٦٢٢٣ (٤٩/٨)

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ- باب في التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، حديث رقم: ٣٥٣٦. (٥٤٦/٥) حسنه الألباني.

(٣) سورة النساء: ٦٩.

(٤) ديوان الإمام الشافعي، جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، جدة: دار المطبوعات الحديثة، ط ٤، ١٤٠٥، ص: ٥٦.

(٥) سورة الحجرات: ١٢.

(٦) انظر: صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الغيبة، حديث رقم: ٦٧٥٨ (٢١/٨).

(٧) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما يكره من النميمة، حديث رقم: ٦٠٥٦ (١٧/٨). وانظر: صحيح مسلم-كتاب

الإيمان- باب بيان غلط تحريم النميمة، حديث رقم: ٣٠٤ (٧١/١).

وعند الترمذي، قال سفيان بن عيينة^(١) والقتات: النمام؛ فإن نقل المعاييب وذكر المثالب، وإن كانت حقا في وجودها، فإن ذكرها لا يؤدي إلى علاجها، بل ينشر العداوة والبغضاء بين الناس، وشرها يكون أكبر كلما كبر قدر المرء المغيب في الناس، فغيبة العلماء وذوي السطان ليس كغيبة أحد دونهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يُبْلَغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَالٍ فَقَسَّمَهُ، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلَيْنِ جَالِسَيْنِ وَهُمَا يَقُولَانِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِقِسْمَتِهِ الَّتِي قَسَمَهَا وَجْهَ اللَّهِ وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ. فَتَشَبَّتُ حِينَ سَمِعْتُهُمَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ فَأَحْمَرَّ وَجْهَهُ وَقَالَ: دَعْنِي عَنْكَ فَقَدْ أُؤْذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ^(٢). وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا - قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةَ- فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ، قَالَ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٣). قال العظيم آبادي في شرح سنن أبي داود: ((مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا: أَيُّ مَا يَسْرَتْنِي أَنْ أَتَحَدَّثَ بِعَيْبِهِ، أَوْ مَا يَسْرَتْنِي أَنْ أُحَاكِيهَ بِأَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ أَوْ أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَى وَجْهِ التَّنْقِيصِ. (وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا) أَيُّ وَلَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الدُّنْيَا أَيُّ شَيْئًا كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ)^(٤) الخوف الذي أظهرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يدل على ورعها وتقواها رضي الله عنها وأرضاها، ويدل على خطر آفات اللسان ومنها الغيبة والنميمة، بل الواجب على المسلم ومن حسن خلقه أن يناصر أخاه المسلم ويدافع عنه في غيبته وحضرته، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وَ أَبَا طَلْحَةَ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوَاقِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتُهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي. مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومئة. وطلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جمعا، وأتقن، وجود وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، ولقد كان خلق من طلبه الحديث يتكلفون الحج، وما انحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة، لإمامته وعلو إسناده. وجاور عنده غير واحد من الحفاظ. ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحميدي، والشافعي، وابن المديني، وأحمد، وإبراهيم الرمادي. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز. وعنه قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثا. مات سنة ثمان وتسعين ومئة، عاش إحدى تسعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٤/٨)

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٨٩٦ (٥/٧١٠). صححه الألباني، أصله عند البخاري.

(٣) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب في الغيبة، حديث رقم: ٤٨٧٧ (٤/٤٢٠). صححه الألباني.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٨٨هـ، ج ١٣، ص: ٢٢١.

فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»^(١). ومنهج المسلم فيما يرى من أحوال الناس حيث هم منهم، لا يمكن أن يسدل الحجب على نفسه ويعتزلهم، ويكف عن الحديث معهم، منهجه القول الحسن وأن يشغل لسانه بذكر الله، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢). ومن أعظم ذكر المسلم ربه أن يوحد الله، ويسبحه ويكبره ويحمده، فإن الله يحب الحمد، عن الأسود^(٣) بن سريع قال: قلت: يا رسول الله، ألا أنشدك محمد بن محمد حمدت بها ربي تبارك وتعالى؟ قال: «أما إن ربك عزَّ وجلَّ يحبُّ الحمد»^(٤).

٧ الاستئذان:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، أمرة المسلم بالاستئذان في الدخول على بيته بالسلام على أهله، وعلى غير بيته بالسلام وبطلب الإذن بالدخول، وذلك من أجل غاية عظيمة رفيعة، وهي حفظ عورات الناس من النظر إليها، وعدم شغلهم عن مصالحهم الخاصة، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَدْرَى^(٥) يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ: (لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)^(٦). وعليه فإن الله حيي ستر يحب الحياء والستر، عن يعلى رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبِرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»^(٧). فمن آداب الإسلام الحياء وهو شعبة من شعب الإيمان، ومكرمة من مكارم الأخلاق، وليس من الحياء أن يدخل على البيوت خاصة والمجالس عامة دون إذن من أهلها، سواء المستأذن من داخل البيت على أجزائه أو من خارج البيت على البيت، عن عكرمة، أَنَّ تَفَرًّا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي أُمِرْنَا فِيهَا بِمَا أُمِرْنَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا

(١) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب-باب من رد عن مسلم غيبة، حديث رقم: ٤٨٨٦ (٤/٢٢٤). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب الأدب-باب فضل الحامدين، حديث رقم: ٣٨٠٣ (٥/٥٥٧). حسنه الألباني.

(٣) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند المكين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٥٨٦ (٢٤/٣٥٢). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٥) المَدْرَى والمِدْرَاةُ شيء يُعْمَل من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المُشْطِ وأطول منه. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٥٤/١٤).

(٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب الاستئذان-باب الاستئذان من أجل البصر، حديث رقم: ٦٢٤ (٨/٥٤).

(٧) انظر: سنن أبي داود-كتاب الحمام-باب النهي عن التعري، حديث رقم: ٤٠١٤ (٤/٧٠). وانظر: سنن النسائي-كتاب الغسل والتميم-باب الاستئذان عند الاغتسال، حديث رقم: ٤٠٤ (١/٢١٨). صححه الألباني.

الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ} ^(١) قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ ^(٢) إِلَى {عَلَيْمٍ حَكِيمٍ}. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السِّرَّ، وَكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبُيُوتِهِمْ سُتُورٌ وَلَا حِجَالٌ فَرُبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالِاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ بِالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ» ^(٣). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ: (هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى اسْتِئْذَانِ الْأَقْرَابِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ فَهُوَ اسْتِئْذَانُ الْأَجَانِبِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُمْ خِدْمَتُهُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَطْفَالُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَلْغُوا الْحُلُمَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: الْأَوَّلُ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا ذَاكَ يَكُونُونَ نِيَامًا فِي فُرُشِهِمْ {وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ} أَي: فِي وَقْتِ الْقِيلُولَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَعَ أَهْلِهِ، {وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ} لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّوْمِ، فَيُؤَمِّرُ الْخَدْمُ وَالْأَطْفَالَ أَلَّا يَهْجُمُوا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لِمَا يَخْشَى مِنْ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ وَهَذَا قَالَ: {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} أَي: إِذَا دَخَلُوا فِي حَالٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي تَمْكِينِكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا عَلَيْهِمْ إِنْ رَأَوْا شَيْئًا فِي غَيْرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْمَهْجُومِ، وَلَهُمْ {طَوَافُونَ} عَلَيْكُمْ، أَي: فِي الْخِدْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَغْتَفِرُ فِي الطَّوَافِينَ مَا لَا يَغْتَفِرُ فِي غَيْرِهِمْ ^(٤) وَنَعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْاسْتِئْذَانَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي تَوْثِّرُ فِي مَحَبَّةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، بِحِفْظِ حُرْمَاتِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَتَنْظِمِ شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ، وَيَزِدَادِ النَّاسِ مَحَبَّةَ لِبَعْضِهِمْ الْبَعْضِ، وَبِدُونِ الْاسْتِئْذَانِ تَعَمُّ الْفَوَاضِي، وَتَخْدُشُ الْحُرْمَاتِ، وَتَنْتَشِرُ الْجُرَيْمَةُ، وَتَفْشُو الْعِدَاوَةُ الْمَنَافِيَةُ لِلْمَحَبَّةِ. وَمِنَ الْأَدَبِ أَنْ إِذَا مَنَعَ الْمُسْتَأْذِنُ مِنَ الدَّخُولِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ مَنَاعَ فَلْيَرْجِعْ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ^(٥) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ^(٥) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ. فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى، السَّلَامُ

(١) سورة النور: ٥٨.

(٢) عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب الاستئذان في العورات الثلاث، حديث رقم: ٥١٩٤ (٤/٥١٤). حسنه الألباني.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٨١

(٥) سورة النور: ٢٧ - ٢٨.

عَلَيْكُمْ هَذَا الْأَشْعَرِي. ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ، رُدُّوا عَلَيَّ. فَجَاءَ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ كُنَّا فِي شُغْلٍ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ». قَالَ: لَتَأْتِيَنِي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٌ وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ. فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ عَشِيَّةً، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجِدُوهُ. فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالْعَشِيِّ وَجَدُوهُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ، أَقَدْ وَجَدْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ أَبِي بَنَ كَعْبٍ. قَالَ: عَذَلُ. قَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَلَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّمَا سَمِعْتُ شَيْئًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَشَبَّهَ^(١).

٨ (السهر في غير طاعة:

أحوال الناس النظامية في الوقت تختلف من زمان لآخر، وتبقى الثوابت الكونية والقواعد الشرعية المرعية، هي الحاكمة في حياة المجتمع المسلم، فإن الله جعل الليل سكنا ولباسا وحاله مظلما، وجعل النهار نشورا ومعاشا وحاله مبصرا، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)^(٢) ومن ذلك فإن نهج المسلم الاستجابة لأمر الله بالشكر على نعمة عبادته وآلائه الجزيلة، والإحسان في استثمار الوقت بالنفع والتدبر والاستبصار، بما في الليل والنهار من العبر والآيات، قال الله تعالى: (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)^(٣) ومن أخلاق المسلم الحسنة، البعد عن سهر الليل إلا من طاعة مقتدرة، عَنْ سَيَّارٍ^(٤) بَنٍ سَلَامَةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ^(٥)، فَقَالَ لَهُ أَبِي: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ؟ فَقَالَ: كَانَ يُصَلِّي الْهَجِيرَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْأُولَى حِينَ تَذْخَضُ الشَّمْسُ وَيُصَلِّي الْعَصْرَ ثُمَّ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَى رَحْلِهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ - وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ، وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخَّرَ الْعِشَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةُ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَكَانَ يَنْقُطِلُ مِنْ صَلَاةِ الْعَدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ وَيَقْرَأُ بِالسَّيِّئِ إِلَى الْمِئَةِ^(٦). قال ابن حجر في الفتح: (قوله وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها لأن النوم قبلها قد

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الأدب- باب الاستئذان، حديث رقم: ٥٧٥٣ (٦/١٧٩).

(٢) سورة غافر: ٦١.

(٣) سورة النور ٤٤.

(٤) سيار بن سلامة الرياحي، أبو المنهال البصري، ثقة، روى عن أبي بركة وأبي العالية وشهر بن حوشب، وروى عنه التيمي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء وشعبة وعوف وحماد بن سلمة وسكين بن عبد العزيز، مات سنة تسع وعشرين ومائة، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٢٥٥) والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (١/ ٣٣٩).

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة- باب وقت العصر، حديث رقم: ٥٤٨ (١/١١٥).

يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك ويقول أسمرا أول الليل ونوماً آخره، وإذا تقرر أن علة النهي ذلك، فقد يفرق فارق بين الليالي الطوال والقصار، ويمكن أن تحمل الكراهة على الإطلاق حسماً للمادة؛ لأن الشيء إذا شرع لكونه مظنة قد يستمر فيصير مثلاً^(١) ولو نظر المعتبر المستبصر لوجد أن السهر في الليل تقوم عليه مفسد عديدة على الفرد والمجتمع: منها، الضعف الاقتصادي؛ فمن سهر الليل كسل في عمل النهار، ومنها الضعف العلمي؛ فمن سهر الليل كسل عن استيعاب العلم وطلبه، ومن سهر الليل لم يأنس وحشة في الظلام والسكون وكثرت الجريمة بالمستوحشين، ومن سهر الليل ولهى عن الطاعة غلبته المعاصي والملاهي والفتن، وأي مكسب لأمة ضعف اقتصادها وعلمها، وكثرت فيها الجرائم والمعاصي والفتن. هذه النظرة التأملية هي دعوة من الدعاة إلى الله، للحث على كسب وقت الليل بين النوم محبة لراحة البدن وبين نفحات ربانية وصلوات ودعوات مخصصة، تزيد في بركة الفرد والجماعة، وهي من علامات الإيمان والتقوى وحفظ الله. قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٢) وفرق بين أخلاق من سهر في الطاعة والعبادة والعلم في راحة دون رهق، وبين أخلاق من سمر على المعصية في قلق و رهق، فالأول في سرور ونور، والآخر في كدر وضيق. وبه يصنف السهر والسمر بعد العشاء في باب الكراهة، والسهر بالحرمان أو عليه فهو غير مختص بوقت معين، بل الحكم لازم من فعله وليس من وقته.

٩) الزهد:

الزهد في اللغة من (زهد) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الزاء والهاء والذال أصل يدل على قلة الشيء. والزهد: الشيء القليل. وهو مُزْهِدٌ: قليل المال)^(٣) وحقيقة الزهد أنه خلق مكتسب يعني: التقليل من متاع الحياة الدنيا، وأبان ابن القيم أقسام الزهد إجمالاً والفرق بينه وبين الورع في كتابه الفوائد، قال: (الزهد أقسام: زهد في الحرام وهو فرض عين، وزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه، وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٢، ص: ٧٣.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، مادة (زهد).

الخطوط والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع^(١) وقد ورد في السنة أن الزهد وسيلة لكسب الناس، عندما تقلل الطلب منهم، فعادة النفس تنفر من يأخذ منها، وتحب من يعطيها، وهو وسيلة محبة الله، فإن المسلم كلما أقلل من الدنيا متاعا، كان أكثر توجها للعبادة والطاعة والآخرة، وأخف حملا من الأوزار يوم القيامة، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَارْزُقْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ)^(٢). والمقصد أن إرسال النفس في الدنيا وملذاتها من شأن الكافرين الذين قصر نظرهم إلى هذه الدار، أما المؤمن فيرى الدنيا دار فناء وعبور لدار البقاء، الآخرة، ولا يعني الزهد حرمة ما أحل الله قال الله تعالى: (يَبْنَئِ عَادَمٌ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ﴿٢٥٦﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^(٣) وما صح به الخبر^(٤) أن النبي ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، أورد السندي على ذلك تعليقا قال: (قوله: (يحب الحلواء والعسل) ليس المراد أنه كان يكلف بصنعه، أو بإحضاره بل المراد أنه لو أتفق حضوره كان يتناول منه قدراً صالحاً فيستدل به على أنه يحبه، والله تعالى أعلم)^(٥) والزهد لا ينافي اللباس الحسن، ولا يعني ترك المال والملك والرياسة، بل الجمع بينها محمداً، ولكن كل شخص بحسب حاله، ومدى معرفته بمصالح نفسه وعلاقتها بالدنيا والآخرة، وفقهه لأحوالها، عن عامر بن سعد، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ فِي إِبِلِهِ. فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ. فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّأِيبِ. فَنَزَلَ. فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(٦). والزهد هنا في الحديث يظهر من شخص شهد له التاريخ بالمكان العلي في الدنيا والآخرة إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو قائد المسلمين المنتصر في معركة القادسية ١٥هـ ضد الفرس، وتركه للملك هنا ترك نزاهة وتقوى وورع، قال ابن القيم في مدارج السالكين: (قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه الأول:

(١) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ — ص: ١٨٨.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب الزهد- باب الزهد في الدنيا، حديث رقم: ٤١٠٢ (٢٢٥/٥). حسنه الألباني لغيره.

(٣) سورة الأعراف: ٣١ - ٣٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأطعمة- باب الحلواء والعسل، حديث رقم: ٥٤٣١ (٧٧/٧).

(٥) حاشية حاشية السندي على صحيح البخاري، محمد بن عبد الهادي السندي، بيروت: الناشر: دار الفكر، ج ٣، ص: ١١٤.

(٦) انظر: صحيح مسلم- كتاب الزهد والرفائق، حديث رقم: ٧٦٢١ (٨/٢١٤).

ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين، وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم باخل الأعلى وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد، والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة، وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد، كالزهد لعبد الله ابن المبارك وللإمام أحمد ولوكيع و لهناد^(١) بن السري ولغيرهم، ومتعلقه ستة أشياء: لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها، وهي المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله، وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزيير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال وكان الحسن بن علي رضي الله عنه من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير^(٢) وكلما كان المسلم زاهدا في الدنيا فهو على محبة من الله، وكلما كان عافا عما في أيدي الناس من متاع الحياة الدنيا فهو على محبة من الناس.

١٠) المروءة:

المروءة في اللغة من (مرأ) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الميم والراء والهمزة. وإذا هُمَزَ خَرَجَ عن القياس وصارت فيه كلمات لا تنقاس. يقال امرؤ وامرآن، وقوم امرئ. وامرأة تأنيث امرئ. والمروءة: كمال الرجولية، وهي مهموزة مشددة، ولا يُبنى منه فعل. والمرأة: مصدر الشيء المريء الذي يُستمرأ^(٣) وأجمع العلماء بأنها صفة تجمع فضائل الأخلاق ودلائل الكرم، قال الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين: (اعْلَمْ أَنَّ مِنْ شَوَاهِدِ الْفَضْلِ وَدَلَائِلِ الْكَرَمِ الْمَرْوَةُ الَّتِي هِيَ حَلِيَّةُ النَّفْسِ وَزِينَةُ الْهَمَمِ. فَالْمَرْوَةُ: مُرَاعَاةُ

(١) هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر التميمي الدارمي أبو السري الكوفي، الإمام الحجة، الإمام الحجة القدوة زين العابدين، محدث، زاهد، من حفاظ الحديث، كان شيخ الكوفة في عصره، ويقال له " راهب الكوفة " مصنف كتاب " الزهد " وغير ذلك، روى أبو العباس السراج أنه قال: ولدت سنة اثنتين وخمسين ومائة، مات في يوم الأربعاء آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٥/١١) والأعلام للزركلي (٩٦ / ٨) وتهذيب الكمال للمزي ٧٤٢ (٣٠ / ٣١١) و رجال مسلم لأبي بكر الأصبهاني (٣٢٨ / ٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ، ج ٢ ص: ١٢ - ١٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥ ص:

الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق^(١) وإن كان العقل يأمر بالأنفع من الأمور وبه تميز العقلاء بالحكمة، فإن المروءة تأمر بالأجل والأكمل من الأخلاق، وبها تميز أهل الفضل من الرجال والنساء، ومن دواعيها ومؤثراتها وآثارها المحبة، فمحبة المرء لنفسه تدعوه إلى علو المهمة وشرف النفس وهي من دواعي المروءة، ومن شروطها العفة عن الحارم والمآثم بكبح جماح الشهوة حذرا من الوقوع في الزلل، ومن مؤثراتها التزاهة عن المطامع الدنية ومواقف الريبة ومن مؤثراتها المؤازرة والتيسير والإفضال بالجاه والمال، حال السعة والنوائب، ومن جوامعها الكرم والسماحة والإيثار، وهذا ما تميز به الصحابة رضوان الله عليهم الذين تتلمذوا على رسول الهدى، والمثل الأعلى في الدعوة إلى الله ﷺ، عن أنس رضي الله عنه، أنه سمعه يقول: آخى رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار فأخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد: إن لي مالا فهو بيني وبينك شطران ولي امرأتان فأنظر أيهما أحب إليك فأنا أطلقها فإذا حلت فتزوجها قال: بارك الله لك في أهلك ومالك دُلوني أي على السوق فلم يرجع حتى رجع بسمن وأقط قد أفضله قال: ورأى رسول الله ﷺ علي أثر صفرة فقال: «مهيم» فقلت: تزوجت امرأة من الأنصار فقال: «أولم ولو بشاة»^(٢). أورد ابن حجر في الفتح فوائد وأحكاما عديدة من هذا الحديث منها ما يخص المروءة، قال: (وفي الحديث أيضا منقبة لسعد بن الربيع في إثاره على نفسه بما ذكر، ولعبد الرحمن بن عوف في تزهه عن شيء يستلزم الحياء والمروءة اجتنابه، ولو كان محتاجا إليه، وفيه استحباب المؤاخاة، وحسن الإيثار من الغني للفقير، حتى بإحدى زوجتيه، واستحباب رد مثل ذلك على من أثر به؛ لما يغلب في العادة من تكلف مثل ذلك، فلو تحقق أنه لم يتكلف جاز، وفيه أن من ترك ذلك بقصد صحيح عوضه الله خيرا منه، وفيه استحباب التكسب، وأن لا نقص على من يتعاطى من ذلك ما يليق بمروءة مثله، وكراهة قبول ما يتوقع منه الذل من هبة وغيرها، وأن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى، لتزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها، وفيه استحباب الدعاء للمتزوج، وسؤال الإمام والكبير أصحابه وأتباعه عن أحوالهم، ولا سيما إذا رأى منهم ما لم يعهد، وجواز خروج العروس وعليه أثر العرس من خلوق وغيره^(٣) والمروءة تبرز في كف الظلم عن غيره محبة وإحسانا، وسعيا بالعدل ولو مع نفسه، وتبرز في إعطاء الحق لمستحقه محبة وزكاة ولو من نفسه، لأن الظلم مثل المروءة الأول والأخير، قال ابن حزم: (ووجدت أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإثاره، فما استعنت على قمع هذه الطوابع الفاسدة، وعلى كل خير في الدين والدنيا، إلا بما في قوتي من ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى. وأما من طبع على الجور واستسهاله،

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة: دار الفكر، ص: ٣٠٦.

(٢) انظر سنن النسائي-كتاب النكاح- باب الهدية لمن عرس حديث رقم: ٣٣٥٢ (٤٢٩/٦). صححه الألباني. وأصله عند البخاري.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ٢٣٥.

وعلى الظلم واستخفافه؛ فلييأس من أن يصلح نفسه؛ أو يقوم طباعه أبداً، وليعلم أنه لا يفلح في دين ولا في خلق محمود^(١) وكل عصر يختلجه معالم أخلاقية تبرز على ساحة الدعوة إلى الله في أشخاص العلماء المخلصين والدعاة الصادقين، امتازوا ببذل الجهد في الدعوة إلى الله واتصفوا بالمروءة ولعل من أبرزهم في عصرنا، الشيخان الفاضلان: عبد العزيز^(٢) بن عبد الله بن باز ومحمد^(٣) بن صالح بن عثيمين يرحمهما الله.

المطلب الثاني: المعاملات

المعاملات هي جمع معاملة وأصلها من (عمل) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عامٌّ في كلِّ فعلٍ يُفعل. قال الخليل: عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فهو عامل؛ واعتمل الرجل، إذا عمل بنفسه. قال:

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْمَلُ *** إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ

والعمالة: أجر ما عمل. والمعاملة: مصدرٌ من قولك عاملته، وأنا أعامله معاملةً. والعملة: القوم يعملون بأيديهم ضروباً من العمل، حفرًا، أو طياً أو نحوه^(٤) وقد أمر الإسلام المسلم بالكسب والعمل وحسن المعاملة، والمعاملة على طرفي نقيض في الأثر، المحبة أثر مع الحسن فيها، والعداوة أثر مع السوء فيها، والمحبة مؤثرة في المعاملة حيث يسعى كل امرئ في كسبها من عدة وجوه، قال الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)^(٥) وقد نزلت^(٦) في الذين أسلموا ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة طمعا في محبوباتهم من القرابة والأموال والتجارة والمساكن، مقدميها على حب طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله، قال القرطبي في تفسيره: (وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب. وقد

(١) الأخلاق والسيرة، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، الأندلسي، تحقيق: عادل أبو المعاطي، القاهرة: دار المشرق العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ص: ٩٠.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولد عام ١٣٣٠ هـ وتوفي عام ١٤٢٠ هـ ودفن في مكة المكرمة، وتولى الإفتاء ومنصب مفتي عام المملكة العربية السعودية من عام ١٣٩٥ هـ إلى وفاته، إمام في الدعوة إلى الله، عاش متتبعا لمنهج السلف الصالح في الدنيا والدين علما وعملا، وجهوده البارزة في هذا العصر وأثره العلمي والإعلامي، وما كتب عنه يغني عن التعريف به.

(٣) محمد بن صالح بن عثيمين، ولد عام ١٣٤٧ هـ وتوفي عام ١٤٢١ هـ ودفن في مكة المكرمة، تولى إمامة الجامع الكبير ببعينة، وكان أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى وفاته، إمام في الدعوة إلى الله، عاش متتبعا لمنهج السلف الصالح في الدنيا والدين علما وعملا، وجهوده البارزة في هذا العصر وأثره العلمي والإعلامي، وما كتب عنه يغني عن التعريف به.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، ج ٤. ص: ١٤٥.

(٥) سورة التوبة: ٢٤.

(٦) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: (قل) يا محمد، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك... الآية (سورة التوبة: ٢٤) (ج: ١٤ - ص: ١٧٧). وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

مضى في "آل عمران" معنى محبة الله تعالى ومحبة رسوله. (وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ فَبِئْسَ مَا لَهَا) صيغته صيغة أمر ومعناه التهديد. يقول: انتظروا. (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) عني بالقتال وفتح مكة عن مجاهد. الحسن: بعقوبة آجلة أو عاجلة، وفي قوله: " وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ " دليل على فضل الجهاد، وإيثاره على راحة النفس وعلائقها بالأهل والمال^(١)، ويظهر من معنى الآية الكريمة إقرار الإسلام للمحبة الفطرية والمكتسبة، لما في هذه الحياة الدنيا من متاع معنوي وحسي؛ تبعته الفطرة ويكتسب من مواقف الحياة، ولكن الاستمتاع بها يجب أن يكون مسبوقاً بمحبة الله ورسوله وطاعتهما، وكذلك الإحسان في المعاملة مع أولي القربى وغيرهم، تبعته المحبة الفطرية الطبيعية لذوي النسب؛ لكن كذلك يجب أن يكون موافقاً لأحكام الشريعة في العقيدة والمعاملات، وقد أحسن النبي ﷺ لعمه أبي طالب المعاملة حتى آخر حياته؛ لما وجده منه من حسن المعاشرة والمنصرة والنصح، وحرص ﷺ على هدايته بنص القرآن الكريم، قال فضيلة الشيخ ابن عثيمين (وقوله: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } ظاهره أن النبي ﷺ يجب أبا طالب، فكيف يئول ذلك؟ والجواب: إما أن يقال: إنه على تقدير أن المفعول محذوف، والتقدير من أحببت هدايته لا من أحببته هو، أو يقال: إنه أحب عمه محبة طبيعية كمحبة الابن أباه ولو كان كافراً، أو يقال: إن ذلك قبل النهي عن محبة المشركين، والأول أقرب؛ أي: من أحببت هدايته لا عينه، وهذا عام لأبي طالب وغيره، ويجوز أن يحبه محبة قرابة، ولا ينافي هذا المحبة الشرعية، وقد أحب أن يهتدي هذا الإنسان، وإن كنت أبغضه شخصياً لكفره، ولكن لأني أحب أن الناس يسلكون دين الله^(٢) أما حسن المعاملة في التجارة، فقد أكد الشارع عليه في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا بآيِدِكُمْ إِلَى الْكُلَّةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(٣) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أدخل الله عز وجل رجلاً كان سهلاً مشترى وبائعاً وقاضياً ومقتضياً الجنة)^(٤). ومن أهم مظاهر حسن المعاملة التي وردت فيها نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب ما يلي:

١) الصدق في المعاملة:

إن المعاملات الاجتماعية من الصلات بين ذوي القربى وأهل الجيرة والصدقة، وكذلك البيع والشراء والقضاء وما فيها من معاملات ونحوه، إن لم تقم على المصداقية، دخلتها الريبة من الكذب، وخرج من خلالها الغش والقطيعة والبغضاء، وإن تخللها الصدق فقد عمرت بالمحبة والصلة، قال الله تعالى: (يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)^(٥) وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْبَيْعَانِ

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٨، ص: ٩٥ - ٩٦.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي، ط ١، محرم ١٤٢٤هـ، ص: ٣٤٨.

(٣) سورة البقرة: ١٩٥.

(٤) انظر: سنن النسائي-كتاب البيوع-باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة، حديث رقم: ٤٧١٠ (٣٦٥/٧). حسنه الألباني.

(٥) سورة التوبة: ١١٩.

بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا^(١) والصدق في عموميه منقبة وخلة اتصف بها المسلمون و امتازوا بها عن غيرهم من الأمم الذين تجرؤوا فيها بالكذب على الله وتحريف كتبه وقتل رسله، بل تميزوا بها في الدعوة إلى الله، فقد انتشر الإسلام في كثير من البلدان عن طريق أخلاق المسلمين ومن أهمها المصداقية في المعاملة من الصدق والأمانة وحفظ العهد والوعد وأداء الحق، حيث تعلموا ذلك من معلم البشرية الخير الذي علمهم الحب والصدق في المعاملة حتى في أضييق وأشد أمور الحياة وهو الجهاد في سبيل الله، عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلَانِ لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: واللَّهِ لا أحملكم على شيء. ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعتُ حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجدَّ في نفسه عليّ، فرجعتُ إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعتُ بلالاً ينادي: أي عبد الله بن قيس، فأجبتُهُ، فقال: أجِبْ رسولَ الله ﷺ يدعوك. فلما أتيتُهُ قال: خذ هذين القَرَيْنَيْنِ - لستَ أبعرة ابتاعهنَّ حينئذٍ من سعد - فانطلقْ بهنَّ إلى أصحابك فقل: إنَّ اللهَ - أو قال: إنَّ رسولَ ﷺ - يحملكم على هؤلاء، فاركبوهم. فانطلقتُ إليهم بهنَّ فقلت: إنَّ النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني واللَّهِ لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمعَ مقالة رسول الله ﷺ لا تظنُّوا أي حدَّثكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ. فقالوا لي: إنَّك عندنا لمصدِّق، ولنفعنَّ ما أحببت، فانطلقَ أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قولَ رسول الله ﷺ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد، فحدَّثوهم بمثل ما حدَّثهم به أبو موسى^(٢). ومن هذا الموقف في هذا الحديث أذكر بعض الدروس ذات الصلة بصدق المعاملة، ومنها: أن الجهاد في أعظم مهامه وهو القتال في سبيل الله، يحتاج المقاتلون فيه إلى العدة والعدد والوفاق؛ ولا يقوم ذلك إلا بالتعاون والتخطيط بمشاركة الجميع، وهو ما كان في غزوة تبوك حيث كانت في بعد مسافة وحر شديد، فتسابق الصحابة بتجهيز الجيش ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه. وهنا يكون الفرق بين أهل الصدق وأهل النفاق فقد قال المنافقون، مقالات الإبطاء والخلف والخلاف، قال الله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ٥٨) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. ومن هذه الدروس أن القائد الأعلى للجيش هو المرجع في التخطيط والإعداد؛ فيجب ألا يشغل بمسائل فردية، وألا يكلف ما لا يملك، بل يعان في قضائها ليتفرغ لما هو أهم، قال أبو موسى رضي الله عنه: (أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلَانِ لهم) وكان النبي ﷺ كما وصف أبو موسى رضي الله عنه أنه غضبان، وحينها لقي الجواب بالمنع لأن النبي ﷺ لم يكن يملك ما يحملهم

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، حديث رقم: ٢٠٧٩ (٥٨/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، حديث رقم: ٤٤١٥ (٢/٦).

عليه، ولموقف عبد الله بن قيس جمال في حسن المعاملة والمحبة، وهو حق الراعي على الرعية، أن يحرصوا على رضاه، قال أبو موسى رضي الله عنه: (ورجعتُ حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليّ) وكذلك يجد المتأمل صدق الراعي مع الرعية وحرصه على رضاهم والاستجابة لمطالبهم حين القدرة، فاستجاب لهم رسول الله ﷺ حين ملك ما يحملهم عليه، ويتضح حسن التعامل القائم على الصدق والمحبة بينهم، حين قاموا مع أبي موسى رضي الله عنه بالتأكد أنها جاءت من عند رسول الله ﷺ، قال: (فقالوا لي: إنك عندنا لمصدق، ولنعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد).

٢ (إنظار المعسرين:

إن الناس قد قسمت معيشتهم، وقضى الرب جل وعلا رزقهم، والحياة بين الغنى والفقر، والله هو الرزاق ذو القوة المتين، ومما يسعد به مجيء الإسلام بنظام متكامل ينطلق من التشريع الرباني في النظام الاقتصادي والتكافل الاجتماعي ونظام الحياة عامة، ومن حسن المعاملة فيه ألا يبقى فقير بين أغنياء، وألا يشتد مؤسر على معسر، لأن الإسلام يسر، وحث عليه في العبادات و المقايضات والقروض، وهو سبيل محبة وطريق ألفة بين المسلمين، قال الله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ مُعْتَدِلُونَ) (١) وقال الله تعالى: (فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (٢) وقال الله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (٣) عَنْ أَبِي الْيُسْرِ (٤)، صَاحِبِ النَّبِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُظْلَهُ اللَّهُ فِي ظَلِّهِ فَلْيَنْظُرْ مُعْسِرًا، أَوْ لِيَضَعْ لَهُ» (٥). والإنظار يكون بتأجيل الدين من بداية الاتفاق على سعة من المدين أو بتأجيله بعد وقت حلوله أو بتركه أو بعهذه أو بالتصدق عليه. وعن أَبِي مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ» (٦). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (والتجاوز والتجاوز معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما

(١) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٢) سورة الشرح: ٥ - ٦.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

(٤) كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد الأنصاري السلمي. من بني سلمة، أبو اليسر، وهو مشهور بكنيته. شهد العقبة ثم بدرًا وهو ابن عشرين سنة. ومات بالمدينة سنة خمس وخمسين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٤١٠).

(٥) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب الصدقات- باب إنظار المعسر، حديث رقم: ٢٤١٩ (٤/١١٦). صححه الألباني.

(٦) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساقات- باب فضل إنظار المعسر، حديث رقم: ٤٠٨٠ (٥/٣٣).

فيه نقص يسير، كما قال وأتجوز في السكة وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه من كثير أو قليل وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء سواء استوفى من موسر أو معسر وفضل الوضع من الدين وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والرحمة^(١) ولا يخفى أن إنظار المعسر من حسن المعاملة، و حسن المعاملة في البيع وغيره - وإن كان في البيع أظهر وأحرى - بين المسلمين يزيد المحبة بينهم، وبين المسلمين وغيرهم يجب الإسلام إليهم ويكون سببا في هدايتهم إلى دين الله. وبما أن المال يعد عصب الحياة الاقتصادية، موردا ومصدرا، فلا غناء عن التعاون بين الناس فيه، عن طريق التجارة والإجارة والدين وغيرها، ولا يتحقق معنى التعاون فيه إلا بالصدق الذي يشد من أواصر الأخوة بين المسلمين، فإذا كذب المدين على الدائن أو خدعه وماطل في حقه، فسوف يكتسب المجتمع طابع الأنانية الفردية، ويطغى على واجب التعاون بين أفرادها؛ لانتزاع الثقة وضعف المحبة بينهم. وحسن الظن مقدم على سوءه، والأصل البراءة في كل مسلم، ما لم تحدث قرائن مشهودة تصرف إلى غيرها، ولكن يجب عند فشو الخداع أن يتحقق المرء من حقه ونظيره الذي يتعامل معه، وهذا مشهد من مواقف الرعيل الأول نستبين به معاني القول السابقة في فضل إنظار المعسر، وفي التحقق من الإعسار دون الوقوع في الاغترار، وكيف ضربوا لنا المثل الأسمى في الأخلاق والمعاملات، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ^(٢) بَنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ. وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ. مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ. وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ. وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ. فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمَّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سُفْعَةً مِنْ غَضَبٍ. قَالَ: أَجَلْ. كَانَ لِي عَلَى فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيُّ مَالٌ. فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ. فَقُلْتُ: ثُمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا. فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهْ جَفَرٌ. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي. فَقُلْتُ: أَخْرُجْ إِلَيَّ. فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ. فَخَرَجَ. فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللَّهِ، أُحَدِّثُكَ. ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ. خَشِيتُ، وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ. وَأَنْ أَعِدَّكَ فَأُخْلِفَكَ. وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ. وَكُنْتُ، وَاللَّهِ مُعْسِرًا. قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ: اللَّهُ قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاها بِيَدِهِ. فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَأَقْضِنِي. وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ. فَأَشْهَدُ بِصُرِّ عَيْنِي هَاتَيْنِ وَوَضَعُ إِصْبَعِي عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمِعْتُ أُذُنِي هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَيَّ مَنَاطُ قَلْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ». فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمَّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٠، ٢٤٤.

(٢) عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري عداده في أهل المدينة روى عن أبيه وأبي اليسر و جابر بن عبد الله. انظر رجال مسلم لأبي بكر الأصبهاني (٢١/٢) قال أبو زُرْعَةَ وَالتَّسَانِي: ثقة، روى له الجماعة، سوى الترمذي. انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٩٩/١٤).

مَعَاذِيكَ، وَأَخَذْتَ مَعَاذِيَّ وَأَعْطَيْتُهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ. يَا ابْنَ أَخِي بَصُرَ عَيْنِي هَاتَيْنِ، وَسَمِعَ أُذُنِي هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَيَّ مَنَاطُ قَلْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَقُولُ: « أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ. وَالْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ». وَكَانَ أَنْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، مُشْتَمِلًا بِهِ. فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ. فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَتُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرَدَاؤُكَ إِلَيَّ جَنِبُكَ؟ قَالَ: فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي هَكَذَا. وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا: أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلُكَ، فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ، فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.^(١)

(٣) العدل:

لقد رفع الله بالإسلام معاني الظلم كلها، فقد حرمه على نفسه سبحانه وتعالى وجعله بين العباد محرماً، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا..... الحديث)^(٢) وقال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٣) والعدل في معناه الشامل، أن يسعى الإنسان لأداء ما عليه من حقوق على وجه الكمال، ووجه ذلك في باب المحبة، أن الكراهة منبعها الظلم، وأن المودة يمثل العدل أحد أسبابها القوية، فإن العادل ينال محبة الناس ومحبة الله، قال الله تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^(٤) وعلى هذا سار السلف الصالح في معاملاتهم حال الاتفاق وحال الخلاف: وهنا أذكر مثلين في المعاملة بما جاء بلفظ الحب في نصوص الكتاب والسنة:

المثل الأول: العدل في الأنصبة المفروضة والموازن: قال الله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَبُوْنِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^(٥) فأي ما معاملة يجب أن تقوم على العدل وخاصة فيما يقاس ويوزن ويعرف مقداره، فإن انتفى العدل فلا يبقى إلا نقيضه وهو الظلم، وصاحب الحق له الخيار فيما نقص أو انتقص، ويجب أن يباشر العين والوصف فيما وصف، ومحبة النفس لحقها أن ترى العدل فيه، ومحبة الحاكم أن يرضى الرضا بعدل ما حكم، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « لَمَّا افْتُسِحَتْ خَيْبَرُ سَأَلْتُ يَهُودَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى النَّصْفِ مِمَّا خَرَجَ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرُكُمْ فِيهَا

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الزهد والرقائق- باب حديث جابر الطويل وقصة أبي السير، حديث رقم: ٧٧٠٥ (٨/٢٣٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٦٧٣٧ (٨/١٦).

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) سورة المائدة: ٤٢.

(٥) سورة آل عمران: ٥٧.

عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ التَّمَرُ يُقَسَّمُ عَلَى السُّهُمَانِ مِنْ نِصْفِ خَيْرٍ وَيَأْخُذُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُمُسَ^(١)، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَ كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْخُمُسِ مِائَةَ وَسْقٍ^(٢) تَمْرًا وَعِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ، فَلَمَّا أَرَادَ عُمَرُ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ أَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُنَّ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُنَّ أَنْ أَقْسِمَ لَهَا نَخْلًا بِخَرْصِهَا مِائَةَ وَسْقٍ، فَيَكُونُ لَهَا أَصْلُهَا وَأَرْضُهَا وَمَاؤُهَا، وَمَنْ الزَّرْعُ مَزْرَعَةٌ خَرْصَ عِشْرِينَ وَسْقًا فَعَلْنَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ نَعْزَلَ الَّذِي لَهَا فِي الْخُمُسِ كَمَا هُوَ فَعَلْنَا^(٣).

المثل الثاني في الشفاعة والصلح: قال الله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^(٤) عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: «أتيتني أروى بنت أويس في نفر من قريش فيهم عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، فقالت: إن سعيد^(٥) بن زيد قد انتقص من أرضي إلى أرضه ما ليس له، وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه، قال: فركبنا إليه وهو بأرضه بالعقيق، فلما رأنا قال: قد عرفت الذي جاء بكم، وسأحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: من أخذ من الأرض ما ليس له طوقه إلى السابعة من الأرض يوم القيامة، ومن قتل دون ماله فهو شهيد^(٦)» أورد بدر الدين العيني في عمدة القارئ: (وكانت شكته إلى مروان^(٧) في أرض فقال: سعيد تروني ظلمتها وقد سمعت رسول الله يقول الحديث فترك سعيد لها ما

(١) سورة الأنفال: ٤١. قال الله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ النَّبِيِّ) (١٠٩/٦)

(٢) (وسق) الواو والسين والقاف: كلمة تدلُّ على حَمْلِ الشَّيْءِ. وَوَسَقَتِ الْعَيْنُ الْمَاءَ: حَمَلَتْهُ. قال الله سبحانه: {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} [الانشقاق ١٧]، أي جَمَعَ وَحَمَلَ. ومنه الوَسْقُ، وهو ستون صاعاً. وَأَوْسَقَتِ الْبَعِيرُ: حَمَلَتْهُ حِمْلَهُ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٩/٦).

(٣) انظر: سنن أبي داود-كتاب الخراج والإمارة والفيء- باب ما جاء في حكم أرض خيبر، حديث رقم: ٣٠١٠ (١١٨/٣) حسن إسناده الألباني.

(٤) سورة الشورى: ٤٠.

(٥) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمه فاطمة بنت بعجة بن أمية، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدرًا، وكان آدم طوالاً أشعر، من العشرة المبشرين بالجنة، عن نافع أن سعيد بن زيد مات بالعقيق وحمل إلى المدينة فدفن بها، وذلك في سنة خمسين أو إحدى وخمسين وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة والله أعلم. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي (٣٦٢/١).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٦٢٨ (١٧٣/٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٧) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموى، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب (بنو مروان) ودولتهم (المروانية). ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذها كاتباً له. ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه. وقاتل مروان في وقعة (الجملة) قتالاً شديداً، وانحزم أصحابه فتواری. وشهد (صفين) مع معاوية، ثم آمنه علي، فأثابه فبايعه. وانصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فولاه المدينة (سنة ٤٢ - ٤٩ هـ) وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام. ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان. ثم عاد إلى المدينة. وحدث فتى كان من أنصارها، وانتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر.

ادعت. وقال: اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها وتجعل قبرها في بئر، قالوا فو الله ما ماتت حتى ذهب بصرها فجعلت تمشي في دارها فوقعت في بئرها^(١) والظلم في قطع الأراضي بغير حق، أمر حذر الشارع من الظلم فيه وتوعد الظالم بالتطويق بما ظلم منه، أورد ابن حجر في الفتح: (قال الخطابي: قوله طوقه له وجهان، أحدهما: أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى الخشر ويكون كالطوق في عنقه لا أنه طوق حقيقة. الثاني: معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقاً في عنقه^(٢))

٤) الوفاء:

الوفاء من أعلى الصفات في توثيق العلاقات، وصدق المعاملات، والوفاء للغير هو وفاء للنفس، وأحسن الوفاء وأكمله هو الوفاء مع الله، حيث يشمل الوفاء لله الوفاء للخلق بأداء الحقوق ومنع العقوق، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوفاء، وجعلهم من أهل البر والتقوى، قال الله تعالى: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)^(٣) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَأَنْ أَنْصَحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ - قَالَ - وَكَانَ إِذَا بَاعَ الشَّيْءَ أَوْ اشْتَرَاهُ قَالَ «أَمَّا إِنَّ الَّذِي أَخَذْنَا مِنْكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا أَعْطَيْنَاكَ فَاخْتَرْ»^(٤). أي لك الخيار إذا كنت تريد أن ترجع فارجع، كأنه يريد أن تطيب نفسه بالبيع ويخلص له النصيحة في الشراء وفاء له ووفاء ببيعته للنبي ﷺ، وفي رواية الإمام أحمد في مسنده: (قال لصاحبه: تعلمن والله لما أخذنا أحب إلينا مما أعطيناك، كأنه يريد بذلك الوفاء^(٥)) وهذا من كمال الانقياد من الصحابة رضي الله عنهم في البيعة و الاتباع وهو درس عظيم في الدعوة إلى الله حيث الوفاء يجب أن يتحلى به الداعية وأن يتعامل به مع الناس ويدعو إليه فتشيع اخبة في المجتمع.

ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد ثم اعتزل معاوية الخلافة، وكان مروان قد أسن فرحل إلى الجابية (في شمالي حوران) ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن (سنة ٦٤) ودخل الشام فأحسن تدبيرها، وخرج إلى مصر وقد فشت في أهلها البيعة لابن الزبير، فصالحوا مروان، فولى عليهم ابنه (عبد الملك) وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره، وتوفي فيها بالطاعون. انظر: الأعلام للزركلي (٢٠٧/٧).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني الحنفي ، بيروت: دار الفكر ، ج ١٢، ص: ٢٩٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ١٠٤.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في النصيحة، حديث رقم: ٤٩٤٧ (٤/٤٤٢). صححه الألباني.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٩٢٢٩ (٣١/٥٥٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٥) المعاملة بالمثل في محبة الخير للنفس:

إن القوانين الوضعية والمراسيم الحكومية والمبادئ الدولية التي حاولت أن ترسم وتخط السعادة للناس في حياتهم، لم تصل إلى أدنى مستوى في حسن التعامل العادل بين البشر، حيث ترفع قوما وتضع آخرين، بل تنتقص هذه المواثيق عند أناس دون آخرين، ولكن مبدأ الإسلام العظيم أن الناس سواسية كأسنان المشط في الحقوق الإنسانية، وغرس هذا المبدأ في نفوس أتباعه قال الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١) ومن هذه الآية أكد أهل التأويل، أن التقوى ميزان التفاضل عند الله ومن دواعيها أن يحب الإنسان للناس ما يحب لنفسه، وإذا أراد من الناس شيئا عليه أن يؤدي إليهم الذي لهم عليه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَاتَّيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ^(٢) وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنْ أَمَّتْكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَتَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيُطْعَمْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عَنْقَ الْآخِرِ ». فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أُنْشِدُكَ اللَّهَ آتَتْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) قَالَ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطْعَمَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.^(٣)

٦) الولاء لمن أعتق:

إن بني آدم حين تفرقت بهم السبل واختلّفوا عن نهج أبيهم آدم و اجتالتهم الشياطين عن طريق التوحيد، أرسل الله الرسل لإنقاذهم من الضلالة إلى الهدى، قال الله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سبق بيانه، انظر: فهرس الألفاظ الغريبة.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمامة-باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول حديث رقم: ٤٨٨٢ (٦/١٨).

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١) ومن واقع الحياة البشرية أن قام بينهم التدافع الذي به صلاح الأرض، وظهرت في العلاقات البشرية سيطرة الغالب على المغلوب، ونتج عنه ما يسمى الرقيق والموالي، ومن حسن الإسلام أن جاءت تشريعاته، بتحرير الأرقاء ومكاتبة الموالى على الحرية، بل حثت أوامره في تكفير الخطايا بهذا الأمر، وجعلت له فضيلة في الأجر عموماً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصُوٍ مِنْهُ عَصُوًا مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ)^(٢). وجعل الإسلام حقوق الولاء لمن أعتق وليس لمن ملك ثم قبض الثمن، وهذا الأمر جعل المحبة قائمة بين المالك والمملوك على حق التملك، وبين المعتق والمعتق على حق العتق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « جاءني بريرة فقالت: كاتبٌ أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية، فأعيني. فقلت: إن أحبَّ أهلِكَ أن أعدّها لهم، ويكونَ ولاؤُك لي فَعَلْتُ. فذهبت بريرة إلى أهلها فقالت لهم، فأبوا ذلك عليها، فجاءت من عندهم ورسولُ الله ﷺ جالسٌ فقالت: إني قد عرضتُ ذلكَ عليهم، فأبوا إلا أن يكونَ الولاءُ لهم. فسمِعَ النبيُّ ﷺ فأخبرتُ عائشةَ النبيَّ ﷺ فقال: خُذِيهَا واشترطي لهم الولاءَ، فإنما الولاءُ لمن أعتق. ففعلتُ عائشةُ ثمَّ قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثمَّ قال: أما بعدُ ما بال رجالٍ يشترطونَ شروطاً ليست في كتابِ الله، ما كان من شرطٍ ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ وإن كان مائةَ شرطٍ، قضاءُ اللهِ أحقُّ، وشرطُ اللهِ أوثقُ، وإنما الولاءُ لمن أعتق^(٣). قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: (أجمع العلماء أن من شرط ما لا يجوز في السنة أنه لا ينفعه شرطه ذلك، وأنه مردود في بيع كان الشرط، أو عتق، أو غير ذلك من الأحكام؛ لأن النبي ﷺ لم يخص شيئاً دون غيره، بل عم الأشياء كلها في حديث بريرة، وقد تقدم اختلافهم في جواز البيع والشرط في كتاب البيوع. وقوله: (كل شرط ليس في كتاب الله)، معناه في حكم الله وقضائه من كتابه، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، فهو باطل. وفي حديث بريرة دليل على اكتساب المكاتب المال بالسؤال، وأن ذلك طيب لمولاه، وهذا يرد على من قال، هو قول ابن عمر: ذلك أوساخ الناس؛ لأن ما طاب لبريرة أخذه طاب لسيدها أخذه منها، اعتباراً باللحم الذي كان عليها صدقة، وللنبي ﷺ هدية، واعتباراً أيضاً بجواز معاملة الناس للسائل، وقد تأول قوم من العلماء في قوله: (وفي الرقاب) [التوبة: ٦٠]، أنه يجوز للمكاتبين أخذ الزكاة

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب كفارات الأيمان-باب قول الله تعالى(أو تحرير رقبة) وأي الرقاب أزكى، حديث رقم:

٦٧١٥(٨/١٤٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الشروط-باب الشروط في الولاء، حديث رقم: ٢١٦٨(٣/٧٣).

المفروضة، فكيف بالتطوع^(١)، ومن حسن المعاملة العظيمة من نبي الأمة، العظيم في خلقه أن جعل القرابة في كل شيء لها مقياس وفضل حتى في العتق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما زلتُ أحبُّ بني تميم منذُ ثلاثِ سَمِعْتُ من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: هم أشدُّ أُمِّي على الدَّجَالِ. قال: وجاءت صدقاتُهم فقال رسولُ الله ﷺ هذه صدقاتُ قومنا. وكانت سبيَّةٌ منهم عندَ عائشةَ فقال: أعتقها فإنها من وَلَدِ إسماعيلَ»^(٢). قال ابن بطال في هذا الأثر وغيره: (في هذه الآثار أن النبي عليه السَّلام، سبى العرب واسترقهم من هوازن وبني المصطلق وغيرهم، وقال، عليه السَّلام، لعائشة في السبية التميمية: « أعتقها، فإنها من ولد إسماعيل » فصح بهذا كله جواز استرقاق العرب وتملكهم كسائر فرق العجم، وأجمع العلماء أن من وطئ أمة له بملك يمينه أن ولده منها أحرار، عربية كانت أو عجمية^(٣) ولقد كان بنو تميم خيار فيما يختارون في الصدقات حيث يخرجون أفضل ما عندهم لذا أعجب النبي ﷺ بصدقاتهم وأثنى عليهم بها، وأحبهم أبو هريرة رضي الله عنه.

(١) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٧، ص: ٧٩.

(٢) انظر صحيح البخاري - كتاب العتق - باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية حديث رقم: ٤٣٦٦ (١٦٨/٥).

(٣) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج١٣، ص: ٥٧.